أسئلة

وردود من القلب

مع العلّامة السيّد محمد حسين فضل الله

حاوره: وضاح يوسف الحلو
اسماعيل الفقيه

أسئلة

وردود من القلب

مع العلامة السيد محمد حسين فضل الله

حاوره:

وضاح يوسف الحلو
اسماعيل الفقيه

دار الملاك

العلامة محمد حسين فضل الله حالة رؤيوية

على مدى الأحداث اللبنانية، وربما قبلها برز العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله شخصية محورية لافتة، واجتهادية ناضجة سواء من خلال نشاطه اليومي أم من خلال مؤلفاته المتنوعة التي تتناول الحركية الإسلامية في سياق نموّاتها الحاضرة من أجل الشهادة للقيم القرآنية، والقيم الإنجيلية.

وللصحافي، والمتتبع، والقارىء تميّز العلاّمة محمد حسين فضل الله بجملة مواهب، أهمها: الرؤيوية في قراءة الأحداث اللبنانية، والعربية، والعالمية؛ التزام سلوكية التحاب بين مختلف الطوائف اللبنانية؛ إدانة الحرب الأهلية الداخلية، اعتبار كل اللبنانيين سواسية أمام محكمة العدل الإلهية، والنظر بإيجاب إلى الدور العربي السوري في كبح، ولجم ومن ثم إطفاء الحريق اللبناني العامل لمصلحة إسرائيل، والاستكبار العالمي.

في العلاّمة الكبير محمد حسين فضل الله صح قول الشاعر:

«ما قال لا إلاّ في تشهده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم»! . .

هادىء في حركاته، مسرف في توضيحاته الفكرية، رزين في خلاصاته الاجتهادية، منفتح على كل التيارات الدينية، وقد يتضاءل عنده الفارق كثيراً بين محراب المسجد ومذبح الكنيسة، وما قال

النبي (صلعم) :

أفضل نساء العالمين : مريم ابنة عمران ، وخديجة ابنة خويلد .

يعمل العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله على بلورة الإنتماء السياسي الشيعي على أساس وطني ، كفاحي لا عصبوي ، وهو بهذا لا يريد تكرار الخذلان الكوفي للثورة الحسينية ، ولا يرغب في «صفين» ثانية بل حركية إسلامية منتصرة تحترم كل الأديان السماوية ، خاصة دين السيد المسيح في كرازته الكبرى : «اذهبوا ، وبشروا باسمي الأمم» ، ودين النبي محمد (صلعم) : «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» . . . وهذا السلوك المجمعي هو طريق الإنقاذ للبنان . .

واليوم ، يقف العلامة محمد حسين فضل الله على رأس الجبل اللبناني منادياً بالسلام ، بالإلفة ، بالوفاق ، بالتحاب ، بالتفاهم ضمن وطن مشترك للمسيحيين والمسلمين . . غير ذلك ، يمتاز العلامة محمد حسين فضل الله بمرجعية ، ومرشدية روحية تستلهم أصفى ما في الإسلام من قيم ، وروحانيات ، وقداسات ، وتاريخية مظللة بالأمجاد .

هذه بعض جواذب تشدك إلى العلاّمة محمد حسين فضل الله العالم الروحي ، والمجتهد المرن ، والشاعر الرقيق ، والخطيب البليغ . .

وفي محطة أخيرة ، يرتفع العلامة محمد حسين فضل الله إلى مراتب الفكر الديني المتقدم حتى لتحس نفسك أنك أمام عابد لله لا يفرق بين مسلم ومسيحي ، ولا همّ عنده إلا سعادة الإنسان ؛ بوصفه تجسداً إلهياً ؛ بصرف النظر عن دينه . . .

ولمثل هؤلاء صولجان الأرض ، وجنات السماء ، ولهذا كان هذا الحوار .

المقدمة

بقلم الأباتي بولس نعمان

كـانت مجامـر الإلحاد قـد ترسخـت في الأرض، والإنسـان في المفازة المعتمـة منجذباً إلى أهـوائه، وغرائزه عندما أطـل المسيح هادياً، مخلصـاً، منقذاً، وداعياً «اذهبوا واكرزوا باسمي جميع الشعوب».

وكانت اشراقـة المسيحية على الأرض هي الثورة الأعـم، والأشمل، والأعمق في دعوة الناس للتعرف على محبة الآخر من خلال كظم نزوات النفس الإنسانية، وكبح الشهوات المنفلتة، وإرساء المساواة بين البشر، وإعلاء كلمة الله الحق.

وصُلب المسيح شهيـداً عذرياً لتصبح المسيحية أقـوى صرخة عدل، وحق في وجـه كـل الظـلامـات، والاضطهـادات، وممـارسـات القهـر حتـى سقطـت الأمبراطوريـة الرومـانية من دون إراقـة نقطة دم ثم تبعتهـا سائر الـوثنيات، وإلى يومنـا، ما زالت المسيحيـة تدعـو إلـى إسقاط الـوثنيات المعاصرة، وإلى تـآخي مختلـف الشعـوب بـالروح والحق، ورفـض الأحقـاد، والتحـاب بين البشر على أساس «اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أو «إن أقربكم إلى الله أتقاكم»!.

نحـن، كمسيحيين لبنانيين، ومشرقيين فتحنـا ذراعنا، على الـدوام، لحوار الحضارات، خاصة الحضـارة المسيحية ـ الإسلامية بوصفهـا تجسداً لكلمة الله، ومسيرة رساليـة أرضية لمشيئـة الخالق. وأغلـب الظن أن مـا يقرب بين المسيحيـة والإسلام هو أكثر بكثير مما يفرق، والعـلامة السيد محمد حسين فضل الله يعرف

ذلك يقيناً، وقد جمعتنا وإياه أمور شتى مثل الإيمان بالخالق، وقيم إنسانية متقدمة، وروح وطنية لبنانية صافية، إلى ذلك، يتميز العلاّمة محمد حسين فضل الله برؤية سياسية نافذة، وإدراك موسوعي عميق للأمور، وانفتاح على كل الأديان، والتيارات الفكرية.

إذا كنا، مسيحيين وإسلاماً، نرغب في إضرام النار بالأيديولوجيات الملحدة، والمستوردة، والمقوضة للتقاليد المشرقية، واللبنانية، وللكيان اللبناني فما علينا إلا التمسك بكلمة الله الحق، وبوحي الهامات الروح. هذا الخشوع الإلهي، العذري الممتد من مذبح الكنيسة إلى محراب الجامع لا بد له من إنقاذ الإنسان في لبنان، وانتشاله من مثخن جراحه. لا قيامة لنا إلا بالتمسك بأهداب الإيمان، وأظن أن الاحتياطي الإيماني المختزن لدى المسيحية كعقيدة خلاص، ولدى الإسلام كرسالة هدى يضمن لنا استمرار الكرازة الأرضية بالله الواحد، وبالقيم الإنسانية النابعة منه والمواصلة إليه.

وأخيراً، إن المفارقات بين الإسلام والمسيحية لا تعوق التعاون والتحاب حتى التآخي بين هاتين العقيدتين في وطن واحد، وعلى أرض لبنان الخيرة.

الأحرى بنا أن نتعاضد، ونتكاتف عوض التباعد، والتقاتل. وإذا كان الإسلام قد نزل «ديناً ودنيا» فإنه دعا إلى أن «لا إكراه في الدين»، وإذا كانت المسيحية، هي الأخرى، رسالة سلام فلا يجوز لنا أن نتبادل التجاهل والتكابر، ولنا في التاريخ عبر لم تثمر سوى المآسي. ويقيناً أرى أن الأفضل لنا، كمسيحيين ومسلمين، التحاب، والتكامل بعيداً عن التزمت الديني العقيم.

وهنا، لا بد لي من إشارة إلى أن وضاح يوسف الحلو هو من الأسماء المحببة لكل قارىء، ومطالع. فهو من المفكرين الذين التزموا الحق والخير وبناء الإنسان المؤمن بالله والوطن في كتاباتهم، ونأمل لحواراته مع إسماعيل الفقيه، أن تعم لتصبح القطب الجاذب بين مختلف المواقع الفكرية الدينية في الوطن.

الأباتي بولس نعمان
أستاذ اللاهوت والتاريخ
في جامعة الروح القدس

الفصل الأول

مرحلة الطفولة الأولى

*** لنبدأ بالطفولة بكل تكوناتها: جو البيت الذي ولدت فيه وترعرعت بين أكنافه، جو القرية بكل ما تحمل من تناقضات، جو المجتمع الأوسع السائد، وما هي القضايا التي تركت تأثيراتها عليكم؟**

لنبدأ من جو البيت. لقد ولدت في بيت ديني يتخذ المعيوش الديني عنواناً لحركته في الحياة الثقافية، والمسلكية العملية، كما كان هذا الجو ينطلق من عائلة دينية، تعيش امتدادات الزمن، في لبنان، وقبل ذلك في مكة. وهكذا أبي الذي كان يدرس العلم في النجف، ويعيش الرغبانية العلمية بعمق مع استغراق في دراساته العلمية، درساً وتدريساً، بحيث لم يكن له علاقات اجتماعية واسعة، إلا في دائرة محدودة. وكانت أمي امرأة بسيطة لا تملك الكثير من الثقافة، وهي من عائلة جنوبية، لم تعش شبابها إلا وهي زوجة على أساس أنها لم تأخذ مجالاً واسعاً من الثقافة في بلدها. هكذا مضت طفولتي على شكل طفولة عادية، كنت الولد الذكر الأول في العائلة وكانت الحياة في داخل البيت حياة بائسة، من الناحية المادية، فقد كنا لا نستطيع التمتع بما يتمتع به الناس الذين يملكون الإمكانات المعقولة

في الحياة. ولكننا كنا نعيش هذا البؤس بشكل طبيعي لأن المحيط الذي كان يحيط بنا كان مجموعة من البائسين، من طلاب العلم المهاجرين الذين لا يجدون الكثير من سعة العيش. وعشت هناك هذه الطفولة المبكرة، في مدينة النجف الأشرف، المدينة العريقة التي كانت تضم إلى جانب امتداداتها العربية خليطاً من القوميات المتنوعة التي كانت تأتي إلى النجف، إلى جوار مقام الإمام علي (ع)، أو كانت تأتي للدراسة الدينية والعلمية. لم يكن هناك شيء بارز في الطفولة المبكرة. النجف كانت تعيش على كتف الصحراء، وفقط جدول صغير يجري في وهادها المنفتحة على الرمال تحيط به بساتين تحدها إمكاناته في إعطائها الري. وفي تلك المنطقة المسماة بـ «الجدول» كان منتزه طلاب العلم في النجف الذين يخرجون مع عائلاتهم أو أصحابهم في العطلة الدراسية، وهي عادة، كل يوم خميس وجمعة من أيام الأسبوع، والعطل الدينية المتنوعة.

انفتحت عيناي على الخضرة، من خلال السفرات التي كنت أرافق فيها أهلي إلى هذا الجدول، كما انفتحت على الخضرة عندما كنت أذهب معهم إلى الكوفة، وهي تقع على بعد ١٠ كلم من النجف التي يجري في داخلها نهر الفرات وتحيط بها البساتين، كما تضم المسجد الأعظم التاريخي. ربما، تركت هذه المناظر الكثير من مؤثراتها الجمالية في نفسي بشكل لا شعوري من الناحية الوجدانية. وفي هذا الجو من الطفولة، المبكرة بدأت الدرس بالكتاتيب عند شيخ يكاد يكون أمياً في ثقافته، وإن كان يملك بعض المعلومات في القراءة والكتابة من دون أية إمكانات فنية، ومعرفية في المسألة التربوية. كانت المدرسة شيء لم يألفه الوسط العلمي آنذاك، لأن هناك كثيراً من

التهاويل التي كانت تعيش في الذهنية الدينية حول المدرسة، باعتبارها نتاج الغرب، ومن هنا كانت مسألة الدخول إلى المدرسة من المسائل التي قد تكون مستنكرة، من دون أن يملك الذين يستنكرونها منطقاً مقبولاً في هذا المجال. درست مدةً عند هذا الشيخ، وكنا نتعلم الكتابة على اللوح، الذي يحتفظ كل طالب بقطعة منه، وكنا نقرأ بالطريقة القديمة، عن طريقة الاستظهار، وكانت طريقة التأديب هي طريقة الضرب، واللجوء إلى «الفلقة» التي تربط فيها رِجْلا الطالب المتمرد، وينهال عليه بعض الطلاب الموكلين بالعصا أو بغير ذلك. ولم أمكث طويلاً عند هذا الشيخ، إذ انتقلت إلى شيخ آخر يقيم في منطقة حرم الإمام علي (ع)، بما يسمى بـ «غرف الصحن» على شيء من التنوع ولعل هذا الشيخ الآخر الذي أتذكر اسمه، وهو الشيخ موسى، كان أكثر تنظيماً من شيخنا الأول، وأكثر لباقة، ولا أدري إذا كان أكثر ثقافة. واستطعنا أن نجتاز مرحلة قراءة القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وبعض قواعد الحساب البسيطة. ولكننا استفدنا من هذا لأننا انفتحنا على مجتمع الأطفال الذين كان بعضهم يمت بنسبت إلى الطبقات العليا، والمميزة في النجف الأشرف. كنا نلاحظ أن هذا الشيخ يقرِّب أبناء الطبقات العليا ويبعد أبناء طبقات الدنيا، ولعله كان ينال منهم مالاً أكثر، أو كان يريد أن يتقرب إليهم لحاجاته.

خرجنا من مدرسة هذا الشيخ، وكانت هناك مدرسة خصصت من قبل هيئة دينية لجمعية منتدى النشر، وهي جمعية أسست من قبل علماء مثقفين، أرادوا أن يكونوا جسراً للماضي والحاضر. ولعلّي كنت في نظر إدارة تلك المدرسة قادراً على أن أكون في الصف الثالث على

أساس أن معلوماتي كانت جيدة تمكنني من اجتياز الصف الأول والثاني إلى الثالث. واذكر أنني كنت طالباً جيداً ونجحت إلى الصف الرابع، ولا أتذكر ما هي الظروف التي جعلتني أخرج من المدرسة وأنا في الصف الرابع لأتابع باكراً الدراسة الدينية.

مرحلة الطفولة الثانية

* كم كان عمرك في ذلك الوقت؟

كنت في عمر الحادية عشرة، وفي ذلك الوقت كنت أشعر بوجود شيء يضج في داخلي، هو نهم المعرفة. ففي الوقت الذي كنت أدرس كتاب «قطر الندى»، وهو أول كتاب في النحو، وأتصور أن بعض مصطلحاته لا يستطيع أن يتحملها ابن الحادية عشرة، ولكني كنت أستوعبه بشكل جيد. وفي ذلك الوقت كنت أشعر بنهم للثقافة، فكنت أطالع المجلات المصرية، وكنت أطالع أيضاً، المجلات التي كانت تصدر في العراق.

الدخول إلى الثقافة الأوسع، ومحاولات الكتابة الأولى

* في أي سنة كان ذلك؟

في سنة ٤٧ أو ٤٨. وفي ذلك الوقت كنت أطالع مجلات أكبر من سني، ومن ثقافتي فكنت في ذلك الوقت أقرأ مجلة «الرسالة» التي يصدرها أحمد حسن الزيّات، وكنت أستمتع بقراءتها، ولا أدري إذا كان هذا استمتاع الفكر الواعي. كما كنت أقرأ أيضاً، مجلة «الثقافة»

التي تصدر في مصر. وفي ذلك الجو كنت أعيش الانفتاح أكثر من أقراني، من خلال هذه القراءات التي قد لا تكون منظمة أو مرتبة أو ممنهجة، ولكنها كانت كمن يتنقل بين الأزهار إذ استنهضت في داخلي شيئاً ما. كنت أختزن هذه المشاعر والأحاسيس في الوقت الذي بدأت فيه أكتب الشعر من دون أن تكون لدي ثقافة شعرية واسعة. أذكر، سنة سقوط فلسطين عام ١٩٤٧، نظمت قصيدة لا أذكر منها إلا بيتين:

دافعوا عن حقنا المغتصبِ ... في فلسطين بحد القُضبِ
واذكروا عهد صلاح ... حينما هبَّ فيها طارداً الأجنبي

***

حصل ذلك في أجواء حرب فلسطين الأولى التي انتهت بسقوط فلسطين، كما أني في ذلك الوقت أو قبله أذكر أبياتاً كتبتها وأنا في العاشرة من عمري:

فمن كان في نظم القريض مفاخراً ... ففخري طراً بالعلا والفضائلِ
ولست بأبائي الأباة مفاخراً ... ولست بمن يبكي لأجل المنازلِ
فإن أكُ في نيل المعالي مقصراً ... فلا رجَّعت باسمي حداة القوافلِ
سأنهج نهج الصالحين، وأرتدي ... رداء العلا السامي بشتى الوسائلِ
وأجهد نفسي أن أعيش معززاً ... وليس لطِلاب العز سهل التناولِ

**

وفي تلك الفترة كنت أعيش هاجس أن أصبح صحافياً فتعاونت مع أقربائي وأصدقائي ومنهم المرحوم الشهيد ابن خالتي السيد مهدي الحكيم، ابن السيد محسن الحكيم الذي اغتاله النظام العراقي في السودان لأنه من المعارضة العراقية، وكان على قدر كبير من الذكاء

والتطلعات التي تكاد تنسجم مع الجو الذي نعيش. في ذلك الوقت أصدرنا مجلة مكتوبة، اسمها «الأدب»، وكتبت فيها موضوعين، واستكتبنا بعض الأشخاص، وكنا نحاول لدى كل مشترك جديد أن نكتب ونصدر نسخة جديدة، وكان المرحوم السيد مهدي يحسن الكتابة جيداً. أصدرنا خمسة أعداد من هذه المجلة، ما بين أعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٠. وفي ذلك الوقت بدأ الجانب الأدبي يواكب الجانب العلمي والديني، وبدأت أعيش نوعاً من الانفتاح الضبابي على الأجواء التي تتجاوز، جو النجف الديني المتزمّت آنذاك.

طفولة حائرة على بؤس

لم أعش في قرية بل عشت في مدينة النجف على أنها مدينة تحمل في بعض جوانبها أجواء القرية، وتحمل أيضاً، أجواء المجتمع المغلق الذي كان يرافقه نشوء مجتمع منفتح من خلال الجيل الجديد الذي بدأ يتمرد على القيود. كنا في ذلك الوقت، ونحن في النجف نقرأ. الشاعر محمد مهدي الجواهري وعلي الشرقي ومحمود الحبوبي. كانت هناك جمعية «الرابطة الأدبية»، إلى جانب جمعية «منتدى النشر» وكنا ننفتح فيها على بعض الأجواء، الجديدة التي ربما، كان يرضى عنها بعض المجتمع العلمي الحوزي في النجف، وربما كان البعض يتهمها بالانحراف. وعندما عشنا ذلك الجو كنا نكابد حيرة، بين ما نعيش فيه من واقع ومجتمع وقيود والتزامات، وبين أجواء الانفتاح التي كنا لا نستطيع أن نطل عليها بقوة، لأننا لم نكن نملك الإمكانات التي تجعلنا نندفع إلى هذا المجتمع. لذلك أستطيع أن أعتبر أنها كانت طفولة حائرة، إلى جانب أنها كانت طفولة بائسة من الناحية المادية.

وهنـاك نقطة لا أزال أعـاني مشكلة فـراغهـا في نفسي، وهي أننـي لم أستطـع أن أنفتـح على لهو الأطفـال وعبثهم. قـد حـدث ذلـك لأن طبيعة التربيـة التي نخضع لها، كـانت تتحـدث على ضرورة تهذيب الطفل، وجعله عاقلاً، بمعنى أن يجلس كما تجلس الملائكة، هادئاً. ربما كنا نشعر بأن اللعب قد يثقل أخلاقية الإنسان، لذلك لم أستطع أن أستمتـع بعبث الطفـولـة ولهوهـا ولعبها. أستطيـع أن أقـول، أن طفولتي كانـت طفولة ثقافية مبكرة، حيـث كنت أقرأ ترجمات كثيرة، ومنها ترجمة أحمد حسن الزيّات لأشعار «لامارتين»، كنت أقرأ «أناتول فرانـس»، وطبعاً مترجمة. كما التقيـت في ذلك الـوقت طـه حسين، والمقصود أدبه الذي استطاع أن يـؤثر تأثيراً كبيراً في أسلوبي، ولا يزال يفرض نفسه عليّ حتى الآن.

لم تكن طفـولة منفتحة، بـالمعنى النفسي، الـوجداني، بل كـانت طفولة مختنقة على عكس ما هي انطلاقة الأطفال.

في داخل هـذه المرحلة. كانت هنـاك تأثيرات تركت عليّ مـلامحها الشخصية منهـا أننا عشنا في هـذا الجو الدينـي الذي يتميز بـالحالة البكائيـة. فأنت عنـدما تعيـش في عاشوراء. تعيـش في جو الصراخ والبكاء والحزن، كما تعيش أيضاً، جواً من الصخب بحيث أنه كانت احتفالات عـاشوراء تتميز في ذلـك الوقت بحملـة المشاعل، الـذين يحملون المشعل الذي يحتوي على عدة مشـاعل ويمتد طوله إلى سبعة أمتار. يحملـه شخص ويطوف ويدور بـه إلى جانب الذيـن يضربون ظهورهم بالسلاسل، ومع الذين كانوا يضربون رؤوسهم بالسيوف أو يلطمون. وهكـذا كنا نلتقي بذلـك حتى في مناسبات ذكـرى وفيات

النبي والأئمة. كانت المواكب التـي تأتي من أنحاء العراق إلى النجف في مواكب لطم ولكنها، في الوقـت نفسه تثير كل القضايا الاجتماعية لتتحـول إلى مظاهـرات، تثير القضـايا، ربما كـانت الـدولـة توحـي ببعضها، والمعارضة توحي ببعضها الآخر. عشنا في جو الحزن والبكاء وجو الصراخ الـذي يختزن كثيراً مـن حالات المأسـاة في داخل النـاس الذين يعيشون هناك، بحيث قد يترك في داخلهم إحساساً بالمأساة في كل شيء يواجهونه.

المشاركة في المناسبات الدينية

*** هل شاركت في هذه الأثناء بهذه اللطميات؟**

كنت أشـارك في بعضها، ولكـن ليس بشكـل كبير، لكني كنـت أشعر في ذلـك الوقـت بعدم الانسجـام مع كثير مـن هذه الأجـواء، لأنني لم أستطـع أن أفهم معنـاها أو جـدواها، وربما كنـا ندخـل في نقاش حذر مع بعـض الناس في مناقشة هذه التقاليـد، وكنا نخشى إذا امتددنا بعيداً بهذا النقاش أن نتهم بممارسـة خروقات للدين، وما أشبه ذلك.

لقد تركت هذه الأجواء تأثيراتها على ملامح شخصيتي، كما أننا في تلك المرحلـة بدأنـا نلتقي بالجانـب السياسي، حيث كـانت الـدولة متمثلة بالحكـم الملكي الذي كان يسيطر عليه نـوري السعيد. كنا في طفولتنا نواجه المسألة من خـلال المظاهرات التي كانت تخرج من قبل بعض الوطنيين، والشيـوعيين والقوميين آنذاك، وكانـت الحكومة في بعض الحالات تواجه هؤلاء بالرصاص، وكان الناس يأتون إلى العلماء

الكبار ليتدخلوا مع الحكومـة، وكانت الشخصية التي تعتبر منفتحة على الـدولة الشيـخ محمد حسين كـاشف الغطـاء، وهو مـن العلماء الأدباء الكبـار، حيث أن الناس كـانت تأتي إليه مطـالبة تدخلـه مع الدولة لكـي تخفف الضغط. كنا نعيـش أجواء غامضة، ضبـابية في هذا الجو.

العلامة، والعائلة، والعمامة

*** أأنت كبير العائلة؟**

نعم، أنا كبير العائلة من الذكور.

*** كم يبلغ عدد أفراد العائلة، الإخوة؟**

عشرة أشخاص.

*** نـريد أن نعـرِّف القارىء إلى أي شيء انجـذبت أولاً، وهـل كان الدين بمعناه الاحترافي من بين انجذاباتكم الطفولية الأولى؟**

لا أدري إذا كـانت هنـاك انجـذابـات عميقة في داخـل نفسي، ولكنني كنت أعيش الأجواء الدينية بشكل تقليدي، بشكل طبيعي في البيت والعائلـة والمجتمع كنت أشعر بالانسجـام مع هذا الاتجاه، ولا وأستطيع أن أقـول أنه انسجام وعـي، ولكنه انسجام أجـواء، وأذكر أنني لبست العمامة مبكراً. فقد كان عمري في الثالثة عشر. ولم أشعر بـالقيود الكثيرة التـي، ربما يخص بها من يلبـس الـزي الدينـي، لأن المجتمع يتحدى بعـض جوانب الحرية في مشـاعرنا أو إحساسـاتنا. ربما لم أكن أشعـر بوجود مشكلـة آنذاك. واستطعت أن أنسجـم مع

هذا الجو. فقد كنت ناجحاً في دراساتي الدينية، كما انفتحت على الجو الأدبي مبكراً ـ كما أسلفت ـ فأنا دخلت حفلات النجف وألقيت قصائد في مناسباتها التي كانت تضج بالأدب والشعر وكنت في الرابعة عشرة.

العلامة، والمطالعات المبكرة

*** متى بدأت مطالعاتكم الجدية، ماذا بدأت تقرأ من الكتب، الدينية، السياسية، التاريخية، الإيديولوجية، منافية للدين..؟**

من الطبيعي، كنت أقرأ من الكتب العلمية التي تفرضها دراستي، وكان أسلوب الدراسة في النجف أسلوباً معقداً يفرض على الطالب الكثير من الجهد. فقد كان المطلوب من الطالب أن يحضّر للدرس الذي يريد أن يدرسه، قبل أن يدرسه. عندما كنا ندرس شرح «ألفية ابن مالك» كنا نتصور أنه لا بد لنا من قراءة الدرس قبل أن يتلوه علينا الأستاذ.

ولا بد من محاولة فهمه والاطّلاع على شروح هذا الكتاب لنفاجىء الأستاذ بالمناقشة، وبالإشكالات التي يمكن أن نستطيع أن نشهرها بوجه أسلوبه، وفكرته أو على صاحب الكتاب، وبذلك بدأنا نتعلم الحوار أو الجدل منذ دراستنا الأولى. كنا نناقش الأستاذ وهو يلقي الدرس، ولا ننتظر حتى ينتهي من الدرس، بل كان الطالب يستطيع أن يسجل نقطة على الأستاذ. وقد يحدث أن الطالب يرفع صوته على الأستاذ، مثلاً، ويتقبل الأستاذ ذلك بطريقة طبيعية جداً. بهذا

كـانـت طريقتنـا في الـدراسـة تفـرض علينـا أن نتعمق بـالمادة التـي ندرسها ، وبذلـك التقينا بالعمق ، منذ بدايـة دراستنا ، لأن الدراسة النجفيـة ليست استظهـاراً ، ولكنها دراسـة فيهـا الكثير من الفكـر. وبالإضافة إلى مسـألة الدراسة يفرض على الطالـب أن يكتب درسه ، وربما يطلب منـه الأستاذ أن يـرى كتابتـه ، ويفرض على الطـالب أن يذاكر درسه مع زميله ، عندما ينتهـي الدرس يذهب الطالب إلى من يتفق معه من زملائه فيقرر الطالب الدرس ، ويناقشه وزميله ، وزميله يقرر الدرس في اليوم الثاني وهكذا يستطيـع أن يكون طالباً ومدرساً في آن واحد فيتعلم أسلـوب التربية وهو طالب . وإلى جانـب ذلك كنا نقرأ الكتب التـاريخية ، ونطلع على الكتب الدينيـة ، وكما ذكرت كنت أقرأ الكتب الأدبية .

الهوايات الأدبية

* أي نوع من الكتب استهويت قراءتها أكثر؟

غالباً ، الكتابة الأدبية الشعر ية ، وتطورت قراءاتي في ذلك الوقت في سن الخامسـة عشر، بحيث كنت أقـرأ مجلة «أدب الكاتـب» التي كـان يصدرهـا طـه حسين ، وكنت أقـرأ مجلـة «الكتـاب» التي كـان يصدرها عادل الغضبان في مصر، وكنا نقـرأ مجلة «الأديب» التي كان ينشرهـا ألبير أديـب . وفي بـدايـة الخمسينـات انفتحنـا على مجلـة «الآداب» .

وكما قلـت ، كنت منجـذبـاً إلى قراءة القصـص الطـويلة ، سـواء أكـانت عـربيـة أو غير عربيـة ، كنـت أقرأ كتـب جـرجي زيـدان ،

والقصص المصرية. كنا نقرأ أيضاً ترجمات جان جاك روسو، ولم تكن القراءات منظمة. لافتقارنا إلى أية ثقافة منهجية تتيح لنا أن ننظم قناعاتنا، ولكن التذوق استطاع أن يحقق لي نوعاً من أنواع الانفتاح الثقافي، بحيث لم أستغرق في جانب معين، وأظن أن هذا الانفتاح الثقافي أفادني في المستقبل بانفتاحي الإنساني. لم أشعر بضيق من الرأي الآخر، لأني كنت أقرأ الرأي الآخر. لم أشعر بتعقيد من الأفكار المضادة، أذكر عندما التقينا بالتيار الشيوعي في العراق، وكان الحزب الشيوعي العراقي أكثر الأحزاب نشاطاً وحيوية، وحركية في أواخر الأربعينات والخمسينات، في ذلك الوقت كنا نشعر أن علينا أن نقرأ المادية الديالكتيكية من مثل مطالعتنا، وقتها، ما كتب هنري لوفافر عن كارل ماركس في ذلك السن المبكر، حتى أنني عندما جئت إلى لبنان ـ وكانت ولادتي في النجف ـ في سنة ١٩٥٢، وجئت إلى بنت جبيل باعتبارها بلد والدتي وعيناتا بلد والدي، كنا نلتقي بالمثقفين، من الشيوعيين والقوميين، وكنت أشعر بأنني قادر على أن أناقشهم، ولم تكن ثقافتي واسعة في ذلك الوقت، وكنت في السادسة عشر والنصف من عمري، لكن كنت أشعر بالقدرة على المناقشة، وعلى الجدل. في ذلك الوقت أذكر أنني عندما جئت إلى هنا كنت ألتقي بالدكتور حسين مروة بسبب وجود قرابة بيننا وبينه، أذكر أنني في إحدى المرات ناقشته، في قول الإنسان، «لا سمح الله»، أو «ما شاء الله»، ـ ومن هو هذا الله ـ لا يسمح أو لا يشاء، فقال: «هذه كلمات أصبحت جزءاً من اللغة العربية التي لا يراد منها معناها الحرفي».
هذا أفادني انفتاحاً بحيث لم أشعر بتعقيد من أية علاقة بأي شخص. في العراق كانت عندي علاقة بالشيوعيين والقوميين

والوطنيين و الديمقـراطيين ، كما كان لي علاقة مـع المتدينين ، وهناك نقطة أتذكرهـا ، في طفولتي الأولى ، كان لدي ولع بـالجلوس إلى كبار السـن من العلماء الـذيـن لا يملكون حـركيـة اجتماعيـة ، أو موقعـاً رسمياً . هناك علماء يعتبرون من الروحـانيين ، وكنت أنا ابن الخامسة عشر أجلـس إلى عـالم كبير في التسعين من العمـر ، فكنـت أستمتـع بـالجلوس إليـه ، بـاعتبار أننـي كنـت أستمتع بـالجانـب الروحـي ، وأستمتع بأحـاديثه عن التاريـخ . وإذا كان هناك من فـائدة لعلّي قد استفدت فائدة روحية ، عميقة في تطلعاتي الروحية ، التي استمددتها من هذه العلاقات . ربما الآن أستغرب نفسي كيف كنت أنسجم ، في بداية الطفـولة مع هذا الجو ، وأشعر الآن عندمـا أرجع إلى الماضي بأن عناصر شخصيتي في ذلـك الوقت كانت منفتحـة على كل الأجيال ، بحيث لا تحسّ بعقدة من الجلوس إلى جيـل بهذا الحجم . ربما كانت تأثيراتي الأولى ؛ بسبب عدم معايشتي طفولة عبثية ، لاهية ، قد عرفتها من تطلعاتي التي كانت تملك الكثير من الجدية .

العلاقة مع الوالدين

*** كيف كانت علاقاتكم بالوالدين ، هل شابها شيء بعدم التفاهم؟**

عندما أتذكر والدي أشعـر باحترام كبير لشخصيته التربوية ، فقد لاحظـت أنه لم يفـرض نفسـه عليّ حتى منـذ البـدايـة . وأذكر أنـه لم يضربني مرة ، بالرغم من أني كنت أخطىء . كانت طريقته في التعبير عن رفضه لبعض ممارساتي هو تحديق بشكل غاضب ثم إهمالي يوماً أو يومين حتـى أشعر بـالخطأ وعنـد ذلك أجـيء إليه معتـذراً فيقبّلني . وعندما بدأت أنفتح جعل مني صـديقاً ، كنت أناقشه في كل شيء ،

وكان يتقبل ذلك. كنـا نجلس على المائدة في فترة الغداء أو العشاء، وكنت أدخل معه في نقاشات ما أدرسه، تماماً كما هو الند للند، وكان ينفتح عليّ دون أن يتضـايق. كنت أطـرح عليه الكثير مـن تساؤلاتي التي لا يمكن أن نطـرحها على مجتمعنا لئلاّ تثير كثيراً مـن التساؤلات حول مدى التزامك الديني أو الفكري. . . إلخ.

وكنت أشعر بـأني بحاجة إلى أن أناقش بعض الأشيـاء التي تدور حـولها علامـات استفهـام، في الوقـت الـذي لا يقبـل فيه المجتمـع المناقشة بها، كان يملك رحابة الصدر التي تسمح له بالمناقشة بشكل أسـاسي. لقد استطـاع المرحـوم الوالـد أن يفسـح المجال لأن تكـون طفولتي، وشبابي بداية كهولية منفتحة بشكل مثير. وربما كان الناس الذين يذهبون إليه يريدون القداسة والوداعة.

كان يتمثـل بروحـانية صـافية يخشع لها كـل الناس الـذين كـانوا يلتقون به، كـان يملك وداعة إنسانية رائعة، بحيـث كان الصغار في السن يجلسون إليه ولا يشعرون بالـوحشة والفارق بين جيله وجيلهم. أعتقد أن كثيراً من انفتـاحي على الواقع كان الفضل فيـه له، لم يغلق عني أي باب. لذلك لم أشعر بأنني اختلفـت معه يوماً، حتى عندما كنت أختلف معه، في بعض القضايا الفكرية، وحتى في أواخر أيامه كنت أتحدث معـه عن مختلف القضايـا السياسية، وكنت قـد بدأت نشـاطـي الاجتماعـي والسيـاسي ممـا كـان يثير الانتقـاد في بعـض مجتمعاتنـا، كان يتفهمني جيداً. لـذلك أعتقد أن لـه تأثيراً كبيراً على مسألة الانفتاح التي أعيشها، لأنه كان منفتحاً.

العلامة وكتابة الشعر

*** لك مجموعة شعرية تحتضن العشق الإلهي للمرأة، ترى هل فكرت أن تكون شاعراً قبل سلوكك طريق الدين؟**

لم أفكر أن أكون شاعراً لأن الشعر فرض نفسه عليَّ. لم أختره. ربما اخترت الانفتاح عليه وتحريك تجاربه وإغناء مضمونه من خلال القراءات، ولم أجد في ذلك الوقت أي مشكلة في أن أكون عالماً دينياً وبين أن أكون شاعراً، لأن مجتمع النجف كان مجتمعاً شاعراً، كان هناك كثير من العلماء، الكبار في النجف كانوا شعراء، وهناك محمد سعيد الحبوبي الشاعر المعروف الذي كان ينظم في الخمرة كمن عاش مع الخمرة كل حياته، ولكنه قد لا يكون شاهد الخمرة في حياته. النجف مجتمع شاعر، كان الشعر يتحرك إلى جانب الفقه، وإذا كنا نريد أن نتحدث عن الشاعر محمد مهدي الجواهري، فهو كان طالباً دينياً، عندما بدأ الشعر، كما أن الشاعر علي الشرقي، وهو من شعراء النهضة في العراق، إلى جانب محمد رضا الشبيبي الذي كان شاعراً حتى أن بدر شاكر السيّاب وأمثاله كانوا متأثرين بشعر النجف. أغلب شعراء العراق تأثروا بشعر النجف. لذلك كانت النجف الدينية تغني الشاعرية، لأنه في المناسبات الدينية يتبارى الشعراء في إلقاء قصائدهم على الجمهور، وفي المناسبات التأبينية كان الشعراء يلقون قصائدهم، وكانت هناك مجالس في أيام العطلة، حيث كنا نلتقي وكان لهونا هو مجالس تقفية، إذ يقرأ أحدنا بيت الشعر ولا يقرأ القافية، منتظرين من يكتشف القافية. كنا، مثلاً، نعمل على تقطيع البيت، بحيث يقطع بشكل مخربط، وكنا أيضاً، نتبارى في من

يستطيع أن يعيد تركيب البيت. فكان الشعر شيئاً من طبيعة الجو الثقافي الديني، وأذكر أنني في بعض مراحل حياتي الشعرية، في البدايات، سمعت بعض الناس يتحدثون أن الإنسان الذي يتعاطى الشعر قد لا يكون محل ثقة في علمه، لأن الشعر يشغله عن التعمق وعن الدراسة، فذهبت إلى أحد العلماء الكبار، وكان مرجعاً نلتقيه واسمه السيد عبد الهادي الشيرازي، وقلت له، هناك من يتحدث عن ممارستي للشعر بطريقة سلبية. فهل ترى أن أترك الشعر وأتفرغ للدراسة؟ قال: لا، إن قيمة الشعر والأدب، هو أنه يصقل السليقة بمعنى أنه يبلور الذوق الأدبي للإنسان، فيستطيع أن يفهم القرآن أكثر والحديث أعمق، باعتبار أن القرآن عربي وينطلق من خلال أعلى أساليب البلاغة، والحديث أيضاً، حديث النبي العربي، وبذلك كلما كان الإنسان أديباً أكثر كلما كان أقدر على استيعاب النصوص أكثر. ثم قال لي: أنا شاعر وأبي كان شاعراً، وبدأ يتلو عليَّ شعراً من شعره، وهو جالس في ديوانه، لذلك لم أختر الشعر، والأصح أنه اختارني، من خلال الجو، ومن خلال أنني من عائلة شعرية، وهي عائلة آل فضل الله.

الطفولة من خلال الموقع الراهن

*** كيف تقيم طفولتك، أو كيف تنظر إلى هذه الطفولة من خلال موقعك الحالي الكبير؟**

أعتقد أن العناصر المتنوعة التي عشتها في طفولتي استطاعت أن تغني الكثير من شبابي، لأنها طفولة كانت أقرب إلى الجدية من العبث، ولكنني أفتقد في داخل نفسي الآن، كثيراً من حاجات

الطفولة، لأنني لم أعش طفولتي كما يعيشها الأطفال بشكل منفتح، ولذلك فإنني أختزن في داخل شخصيتي راهناً جوع الطفولة، وربما أختزن جوع الشباب. يعني، أعتقد أن مراحل العمر لا تموت، فالشباب يحمل في داخله شخصية الطفل، ولذلك يحاول أن يعبث كما يعبث الأطفال، وهذا ما يعبر عنه الآباء عندما يلعبون مع أطفالهم، أنهم لا يريدون أن يلاعبوا أطفالهم، ولكنهم يريدون أن يجربوا كيف يلعبون، كيف يستعيدون طفولتهم في ذلك. وهكذا يختزن الشيخ في داخله مرحلة الشباب، ولذلك يحنو إلى كثير من تطلعات الشباب، حتى بعد أن يفتقد الفرصة. أشعر بأنني لم أعش طفولتي كطفل، ربما كنت شاباً في طفولتي، وقد تكون بعض مراحل طفولتي شيخوخة. ويهمني أن أبقى طفلاً في وداعة الأطفال، وفي محبتي للناس.

وأثناء حوارنا مع العلاّمة الكبير السيد محمد حسين فضل الله حصل حادث مؤسف إذ استشهدت شقيقة العلامة مع ولدها في طريقهما إلى الزيارة في إيران فكانت هذه القصيدة أول ما كتب هذا الإنسان الاستثنائي، ونحن ندرجها في سياق الحوار نظراً لعمقها، وانسجامها مع الخط العام للحوار.

أنا الغيب في الحسّ

كمثل الحكايا التي تولد الطفولة فيها
ويهفو الشباب
كقصة فجر أطلت رؤاه على الأفق في عتمات الضباب
كما الحلم في همسات الجفون يهمهم للشمس
عند الغياب
كما الليل يغفو على ساعد الشواطىء
في مهمهات الضباب
كما الزمن الحائر المنحني على الكون
في أمنيات السراب
كما الروح تسمو مع الغيب
حتى تحلق في روعة وانجذاب

**

أنا ها هنا
استحث الشروق
ليشرق قلبي بسر الشهاب
وأمضي ، وأمضي بعيداً بعيداً
إلى أين
يا غيب
هل من جواب؟
هو السر، مهما دفعت الخطى إليه
فلن تلتقيه الرغاب
هو الحب

روح ووحي وعمق وومضة نور
ونجوى عذاب
ويشمخ أفق وتركض أرض
ويهتز كون ويضرى الخراب
ويبقى لعيني لمح الضياء
يداعب في الحلم سر السحاب
وأهوي مع العمق في الذات حساً
وامتد، وحياً، بكل الرحاب
وأحيا مع الموت، غيبوبة
تهدهدني بالأماني العذاب

* *

أنا السر تبكي أحاسيسه
وتضحك أحلامه في العذاب
غموضي وضوح
وليلي فجر
ونجواي تفتح لي ألف باب

* *

كمثل الحكايا التي تلتقي الرؤى الخضر فيها
بوحي التراب
وينطلق الوعد في كل حلم
كما الحب في كل قلب مذاب حضنتك كلمة سر تغيب
تطوف بروحي عند الإياب
ولكنني هائم في الشروق

أناجي الجمال وأحسو الشراب
واحياك في السحر يملأ قلبي
كما العشب يبدع خضر الجباب
ويبقى لذاتي عمق الحكايا
فتهوي القشور ويبقى اللباب

**

أنا الكون
لا يجمد الحس فيه
ولا ينطوي في مداه الكتاب
وأنت صنعت لي الكون روحاً
تمزق ـ بالوحي ـ كل الثياب

**

أنا الغيب في الحس، إن المدى بعيد
ولكنني في اقتراب
هو الليل يطغى وتبقى الدياجي
تشير إلى الفجر عند الغياب

**

شعوري نار وروحي نسيم
وقلبي ربيع وعمري يباب
ويهمس لي العشب إن اخضرار الولادة
سر الذهاب

**

إلى أين، يا عمر، هل من طريق

إلى النور، في تلعات الهضاب
هو النهر يحمل سر الذرى
إلى العمق في همسات الصعاب
وتجري الينابيع نحو البحار
في لهفة من وراء الشعاب
ويعدو بنا الموت
في لفتة الحياة إلى الخلد
في خطوات المآب
ويبقى الجمال على دربنا
مع العشق في غمرة الالتهاب
وأنت وتهمس كل الشموس
هو النور في عتمات الغياب
هو العطر في أمنيات الورود
هو النبع في خطرات السراب
هو الحق أن يعبث الوهم فينا
هو الحس في الغيب في كل باب

**

وأنت . . . ولا شيء إلا هداك
فمنك الثواب ومنك العقاب
ونمضي وتهفو هموم النجاوى
وتهمس ـ يا رب ـ هل من جواب
وأنت الحقيقة في كل أفق
نحدق فيها أمام السحاب .

الفصل الثاني

أيتام مبرة السيد الخوئي في الدوحة .

الإسلام والتغيير

بين الإسلام والتغيير

*** نريد أن نعرف من الذي يقود عملية التغيير في هذا العصر: الحزب الإسلامي أم الإسلام نفسه مجرداً من الحزبية، أم الأيديولوجيا سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية علمية؟**

عندما يريد الإنسان رصد آفاق هذا السؤال يلاحظ أن مسألة التغيير ليست من المسائل التي تحتضن عنصراً واحداً فقط. فعندما نلتقي بالإسلام في عملية التغيير من خلال الإسلاميين الذين يفكرون بهذه الطريقة فقد نجد أن الإسلام ليس مجرد فكر من الأفكار السياسية التي تطرح في الساحة لتعالج حالة حكم أو حالة تشريع مع امكانية جعل هذا الإسلام يعيش ضمن حدود معينة، خاصة قد نستطيع وضع روابط أو موازين محددة له.

حقيقة، الإسلام دين يحمل في داخله كل الأثقال التي تجعله حركة تاريخية أي حركة إبداع، وحركة اختراق بالمستوى التي قد تتحول فيه الأمور إلى مشكلة فكرية أو مشكلة سياسية في وعي الناس

تتحول فيه الأمور إلى مشكلة فكرية أو مشكلة سياسية في وعي الناس أو في حركتهم العامة أو الخاصة. لهذا، نصطدم بانقسامات قد تحدث أو حدثت في التاريخ، إضافة إلى التعقيدات السياسية التي تترك آثاراً سلبية أو إيجابية على طبيعة الطرح الإسلامي في هذه المرحلة أو تلك.

من خلال ذلك قد نلتقي بالمسألة الإسلامية في خصوصياتها الدينية بالمعنى الشعبي، وفي هذه الخصوصية قد تدخل أشياء لا علاقة لها بالدين، وقد تلتقي بالجوانب الفكرية ـ الفلسفية، وبالجوانب التشريعية، والسياسية، وحتى عندما كان الإسلام يحكم، في المراحل المتأخرة؛ لم يكن هناك وعي سياسي يربط بين الإنسان العادي وبين حركة الحكم المتوجدة في قمة السلطة. هذا المفهوم الذي يحاول أن يعزل السياسة عن الدين قد يخلق الكثير من التعقيدات التي يمكن أن تواجه الحركة الإسلامية في طرحها السياسي لأنها ستصطدم بجماهيرها قبل الاصطدام بالجماهير المضادة من خلال حاجتها إلى اعادة تركيب الحالة الذهنية لهذه الجماهير لافهامها أن الإسلام ليس مجرد عقيدة غيبية، وليس مجرد حالة عبادية. الإسلام يحتضن الحياة كلها في همومها، وقضاياها ومشاكلها، وحلولها. غير ذلك، المسألة تتصل أيضاً بالواقع السياسي العالمي الذي اعتبر أن مسألة الدين هي من المسائل التي انتهى منها الإنسان، وأصبح الدين مجرد حالة داخل المساجد، والكنائس من دون أن يكون له أي دور في حقيقة الحياة الإنسانية المتنوعة الجوانب. قد يندهش البعض عندما تطرح الدين الإسلامي كمشارك في السياسة بطريقة موضوعية أو عقلانية، وهذا البعض جعل الثقافة السياسية المعاصرة حالة

الإسلامية أنها تـواجه حالة شعبيـة من خلال مواقـع التخلف في فهم الدين، وحالة أخرى نخبوية ملقحة بالمفاهيم الأوروبية حول الدين. لذلك، فقد تكـون الحالة الإسلامية بحاجة إلى صـدمة لكي تهز هذا الواقـع، وتفرض عليه ضرورات التفكير بجـدية بكل هـذه العناصر التي قد تتحول إلى حـالة حركية متراوحة بين الرفـق، والعنف. فقبل الكلام عن معقـولية أو عدم معقولية أي شيء علينـا المبادرة إلى صنع الواقـع المثير للجدل حتـى الصراخ، حتى استنهـاض الانتقاد. على هذا الشكـل تجعل الـواقع المحيـط بك يـواجه الصـورة الحقيقية ولـو بطريقة تجريدية بعدهـا تستطيع الفرز على مستوى الحركة أو الثورة أو الدولة، وستجد أمـامك واقعاً دينياً حركياً قـد تنتقده وقد لا تنتقده، وقد ترفضه، وقد تقبله، ولكن لا بد لك من التعامل معه تعاملك مع أي واقع.

إن الحزب، مهما كبر، يمثل حـالة في الأمـة، ولا يمثل الأمـة مهما أردت أن تفـرضـه على الأمـة، وهـذا أمـر عشنـاه في الحركـة الحزبيـة العالمية، وليست على مستوى الحركة الإسـلامية فقط. لا بد أن يكون هنـاك تـزاوج بين الحزب، وبين الأمـــة بحيـث أن الحزب يحدد خـط التفكير، ويحدد وحدة الفكـر، ويحدد بناء العناصر القياديـة. في هذا الجو، نحتاج إلى نوع من التزاوج بين الأمة، وبين الحزب، ولا سيما أن مسألة الديـن ليست من المسائل السطحية بل هي حـالة استنهاضية لأعمق ما تملك الجماهير، ولعل التجربة التي عاشتها الثورة الإسلامية في إيران تمثل تجربـة رائدة في هذا المجال. فالثورة الإسـلامية لم تنطلق من حالـة حزبية بالمعنى المتعـارف عليه للحالة الحزبية لكنهـا كانت تختزن تنظيماً معيناً بتوزيع الأدوار على كل المواقع المؤيدة للثورة بحيث

أن هذا التنظيم الذي تحرك بقيادة الإمام الخميني الممثل لحالة مرجعية في الأمة، استطاع أن ينفذ إلى الأمة فيحركها مستفيداً من قداسة المرجعية في وعي الأمة من جهة، ومن أخرى مستفيداً من حركة التنظيم التي تشرف عليها هذه المرجعية. هذه حالة من التزاوج بين التنظيم وبين الأمة، واعتقد أنها حققت نجاحاً كبيراً. وبعيداً عن الإسلام، عندما نطل أو تقارب المسألة السياسية العالمية بما تعني من رأسمالية أو ماركسية أو قومية وما إلى ذلك من عناوين كبرى نرى أن الحزب وحده لا يستطيع تحقيق التغيير بل لا بد له من عناصر كثيرة لتدعيم توجهاته التغييرية.

إن عملية التغيير هي من العمليات المعقدة التي لا تستطيع أن ترسم لها قاعدة ثابتة، وجولة في التاريخ تعطينا فكرة عن الآلاف التي يمكن أن تحرك عملية التغيير بشكل عميق أو سطحي تحت عناوين معينة قد لا يكون لها إلا دور الواجهة.

*** جاء الإسلام كثورة تغييرية فلماذا تحول إلى جزء من السلطة الحاكمة في أي بلد عربي؟**

نحن نعرف أن أي فكر تغييري سواء أكان دينياً أم وضعياً أو علمانياً لا يستطيع أن يحمي نفسه من دون الملتزمين به. هناك الكثير من حالات الانهيار الديني أو الانهيار الاجتماعي أو الانهيار السياسي التي يخضع لها الفكر. وفي حالات كثيرة يتمثل الفكر بطريقة متخلفة توحي بالكثير من حالات السقوط الاجتماعي أو السقوط السياسي أو الأخلاقي. هذا ما لاحظناه في كل الأفكار التغييرية في العالم التي بدأت ثورية ثم تحولت إلى شكل هادىء من أشكال الدولة التي

بابلو بوانتي

بدأت ثورية ثم تحولت إلى شكل هادىء من أشكال الدولة التي تعيش الجمود الروتيني أو الطموحات السياسية لهذا الحاكم أو ذاك الذي منح ذاته قداسة معينة باسم الفكر أو باسم الدين ثم يحاول تسخير الدين لخدمة أهدافه حتى يصبح الدين مجرد حالة لتعظيم هذا أو ذاك.

إن الكثير من العوامل تفسح في المجال لاستغلال الدين في غير اتجاهه الصحيح، وهذا أمر لا يقتصر على الإسلام بل يطال كل الديانات من مسيحية أو يهودية أو بوذية.. وماذا عن التيارات القومية؟ وعن الأبطال القوميين؟ ماذا عن التيارات الماركسية؟ وعن التيارات الاشتراكية؟ ماذا عن الديمقراطية؟.. إن الكثير من هؤلاء استغلوا بعض الفجوات الفكرية نافذين إلى عمق الانتهازية لتحقيق أغراضهم، ولهذا فإن الأفكار التغييرية بحاجة إلى حركات اصلاح، إلى حركات جديدة في الفهم، وفي إزالة كل الركام الذي أطبق على المفاهيم الحقيقية فجعل صورتها تختلف عن الصورة الحقيقية التي انطلقت منها..

الدين والعلمنة

بين الدين، والعلمنة، والمجتمع العربي

*** صحيح أن الفكرة الدينية تقول: «لقد أنزلناه ديناً ودنيا»، على أن هذا لا يمنع من قيام علمنة مؤمنة، فلماذا يجتهد فقهاء الإسلام لرفض هكذا علمنة مؤمنة قد تكون إحدى العوامل لصهر المجتمع العربي علماً أن القرآن الكريم لا يرفض هكذا حالة، بمعنى قيام دولة غير حزبية، وغير دينية، وغير متميزة لهذه الفئة الدينية أو تلك؟**

أعتقد أن هذه الفكرة تنطلق من الاستغراق في المفهوم الغربي عن الدين، الذي يعتبر الدين حالة روحية، لا علاقة لها بالحياة إلا من خلال العناوين الأخلاقية القائمة التي تطل على بعض جوانب السلوك في الحياة مما قد لا يكون واقعياً في أغلب الحالات.

وعندما نريد أن ندرس المسألة من خلال هذه المقولة «الإسلام ديناً ودنيا». ما هو الإسلام؟.

الإسلام عقيدة في النظرة إلى الكون، والإنسان وإنما يخضع لإرادة الله والحياة التي أنزل الله على رسوله منهجاً كاملاً يشتمل على المفاهيم العامة، للإنسان وللحياة، وللعلاقات كما يشتمل على مفردات

قانونية تشريعية، تتصل بكل قضايا الإنسان في الحياة. عندما تكون الفكرة، كيف يمكن أن تجمع بين هذه الفكرة وبين أي فكر آخر؟

إنّك عندما تتحدث عن ضرورة علمنة مؤمنة، يطرح السؤال التالي:

هذه العلمنة ما هو قانونها، هل أن قانونها يتفق مع قانون الإسلام أم يختلف؟

عندما يختلف قانون العلمنة مع قانون الإسلام تكون قد وجدت حلاً لمشكلة المسيحيين أو حللت مشكلة الملحد، ولكنك أوقعت المسلم في مشكلة، وهي أنك جعلت فاصلاً في حياته بين القانون الذي فرضته عليه من خلال الدولة، وبين الشريعة التي يلتزمها كشيء ديني تماماً كما يلتزم صلاته.

لذلك هذه ليست حلاً للمشكلة بل حل لمشكلة غير المسلمين، وليست حلاً لمشكلة المسلمين. هذا تماماً كما تقول، أن علينا كماركسيين أن ندعو إلى ماركسية متدينة، أو إلى دولة دينية تنسجم مع الماركسية، لذلك علينا أن نحدد فهمنا لمسألة، ما هو الإسلام؟ الإسلام في نظر الناس التقليديين المتخلفين، صلاة وصوم وحج وأعمال فردية. هذا لا يبتعد عن العلمنة، أما الإسلام كشريعة، مناهج للسلوك الإنساني، فقد يصطدم بالعلمنة إذا اصطدمت بشريعته وقانونه. لذلك فالمسألة تخلو من الدقة بطروحاتها. الإسلام عندما يدعو إلى دولة على صورته، في مجتمع متعدد يملك الأكثرية فيه لا يكون الاسلام يبتدع الأفكار، لأنك لن تجد هناك دولة شاملة لكل الأفكار التي لا يؤمن بها أفرادها، لذلك هذه المشكلة ستبقى

مشكلة إنسانية، هي مشكلة أن هناك بعض من الناس قد لا تتوافق عناوين الدولة بالنسبة إليها، كالأقليات القومية،

ـ أنت كشيوعي، أو كديمقراطي، أو كاشتراكي ـ عندما تعيش في دولة تخطط على خلاف ما تؤمن به تشعر بنفسك بأنك تعيش حالة اضطهاد، ولذلك تقف في خط المعارضة، لتفسح المجال لتغيير الدولة على صورتك. لذلك، فالخلاف الذي يحدث في مثل هذه الأمور، ينطلق من أن كثيراً من الناس لا يريدون أن يستوعبوا الإسلام لأنه يمثل قانوناً كاملاً، وشريعة كاملة. عندما تملك شريعة كاملة فكيف يمكن أن تدخلها تحت ظل شريعة أخرى، وتقول هذا هو الحل العادل للإنسان.

دعوة إلى حوار إسلامي ـ ماركسي

*** يقول علي بن أبي طالب: «ما رأيت مالاً وفيراً إلا وبجانبه حق سليب». ثم جاء كارل ماركس وقال: «فائض القيمة» القولان متشابهان مضموناً، ترى ما العقبة في وجه حوار إسلامي ـ ماركسي إذا أزحنا قضية الإلحاد؟**

من الطبيعي أن الإمام علي كان يتحدث عن المشكلة ولكنه لم يتحدث في كلمته عن ما هو الحل للمشكلة. وقد تقترب نظرية ماركس من هذه الكلمة في تصوير المشكلة، ولكن الخلاف بين الإسلام والماركسية فيما هو الحل للمشكلة، ونحن ندعو إلى حوار إسلامي ـ ماركسي يحاول أن يجد مواقع اللقاء. ويحدد مواقع الافتراق، ليتفاهم الإسلاميون والماركسيون على ما يمكن أن يتعاونا في كثير من المواقع السياسية، أو بعض المواقع الاقتصادية إذا اكتشفا أن

مع آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي (قده)

مع الشيخ سعيد شعبان.

هناك شيئاً ما يقتربان فيه بعضاً من بعض .

* يعني الإسلام والماركسية متفقان على الشكل؟

متفقان على المشكلة ولكن مختلفان على الحل .

الزواج المختلط

* سماحة العلامة : لماذا ترفضون الزواج المختلط؟

لنعترف أن كل طائفة لبنانية تعترف نظرياً بالأخرى ، وتلغيها عملياً ، ومن عوامل الإلغاء رفض الزواج المختلط مع احتفاظ كل فرد بدينه؟ ما المشكلة ، ما العقبة؟

ـ في الفقه الإسلامي ، الزواج المختلط رائج بمعنى أن المسلم يتزوج مسيحية أو يهودية . هذا حتى مع بقائها على دينها ، ولكن ليس للمسلمة أن تتزوج غير مسلم . هذه المسألة قد نستطيع أن ندرك أبعادها بقطع النظر عن مسألة النصوص التشريعية . توجد نقطة أساسية ، وهي : لماذا يجيز الإسلام للمسلم أن يتزوج مسيحية أو يهودية ، ولا يجيز للمسلمة أن تتزوج مسيحياً أو يهودياً؟ لأن الإسلام يؤمن بالكتاب كله . الإنسان المسلم لا يمكن أن يسيء إلى مقدسات زوجته المسيحية ، لأنه يعظِّم عيسى والعذراء والإنجيل ، وإن كان لا يعظم بعض الطقوس التي يتحرك فيها المسيحيون . وهكذا الإنسان المسلم لا ينطلق في إسلامه ، من أية حالة ذاتية ليعطي نفسه حرية الإساءة لزوجته اليهودية من خلال مقدساتها ، لأنه يؤمن بموسى ، وبالتوراة وبكثير من تاريخ بني إسرائيل الذي يتحدث عنه القرآن .

بينما عندما يتزوج المسيحي مسلمة لا يرى حرجاً في أن يسيء إلى النبي، والأمر نفسه بالنسبة إلى اليهودي عندما يتزوج مسلمة، فإنه يجد أن إساءته للنبي أو للقرآن حالة طبيعية. ولذلك عندما ترغب المسلمة أن تعيش إسلامها، والزوج مسيحي أو يهودي قد لا يستطيعان من خلال إلتزامهما الديني أن ينسجما كثيراً في التطلعات الدينية، بينما عندما يكون الزوج مسلماً والزوجة مسيحية، هناك إمكانية للانسجام. عندما تسمع الزوجة المسيحية زوجها يتلو القرآن تنسجم معه لأن القرآن يتحدث عن مريم (عليها السلام) وعن عيسى (عليه السلام). لا أقول أن هذا هو أساس التشريع، ولكن أقول أننا نستطيع أن نفهم التشريع بهذه الطريقة، مما يجعل من المسألة حالة لا تبتعد عما هو الانسجام الإنساني في الحياة الزوجية.

*** من خلال هذا الطرح تبرز نرجسية طاغية يمارسها الإسلام الأمر الذي يكشف عن حالات الغاء للآخر؟**

عندما نطرح القضية على هذه الطريقة، ونجعلها بداية انسجام الزوجين. لا نرى حالة نرجسية. هناك فرق بين أن يكون الزوجان يعيشان فكرهما أو لا يعيشانه.

إذن، ليس هذا مسلماً وليست هذه مسيحية عندما يريدان أن يعيشا فكرهما، ويعيشا بحريتهما وبعفويتهما الطبيعية، حيث يطلق الإنسان لنفسه ولأفكاره كل شيء، ومن الطبيعي أن يصطدم بكل شيء.

مع المطران خليل أبي نادر.

العلامة الكبير مع قائمقام المفتي.

الإسلام، والحجاب، والربا

*** طرأت تطورات كثيرة على ممارسة الدين الإسلامي، فلماذا بقيت قضية الحجاب كما هي إلى جانب تحريم المسكرات علماً أن قضايا كثيرة مثل العلاقة مع المشركين أو مسألة الربا قد جرى تجاوزها؟**

العلاقات مع المشركين ليست مشكلة في طبيعتها الذاتية. هناك تحريم للربا، ولكن الناس تجاوزوا التحريم عصياناً. نتيجة الضغوط الاقتصادية أو نتيجة أشياء أخرى، ولم يصدر هناك تحليل للربا. كما أن هناك كثير من الناس تجاوزوا مسألة الحجاب، هناك الكثير من المسلمات لا يتحجبن لا على أساس أن الفكر الإسلامي يبرر ذلك، لكن على أساس أن السير مع التيار، يسميه المسلمون انحرافاً وهكذا نجد أن الكثير من المسلمين يشربون الخمر. ليس معنى هذا تجاوزاً لتحريم الخمر. عندما نريد أن نفهم مسألة الحجاب المعتدل. علينا أن نربط المسألة بما تحدثنا عنه في المنهج الأخلاقي الإسلامي. عندما يكون المنهج الأخلاقي الإسلامي، هو العفة، يعني إيجاد ضوابط للعلاقات الجنسية، وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الانحراف.

هنا، نجد أن فكرة الحجاب منسجمة مع فكرة أخلاقية الإنسان، ليس يعني أن كل محجبة سوف تكون معصومة من الانحراف، لأن جوانب كثيرة تطل على الانحراف كما أن هناك نوافذ أخرى. هنا، في هذا المجال، نجد سجالاً حول أن المرأة لا تتحرك في المجتمع كعنصر إثارة بل تتحرك كإنسانة، وتبقي الجانب الأنثوي تماماً، كما هو الجانب الذكوري في دائرة الحياة الزوجية. إذاً، لا توجد تحفظات بين

المرأة وبين زوجها. إذا أردنا أن تتحدث عن مسألة السفور، وهي فكرة تنطلق من فلسفة قضية حرية الإنسان في جسده، من فلسفة أن مسألة العفة ليست حالة جسدية بل حالة ذهنية في جوانب أخرى. عندما نفكر بهذه الطريقة، علينا أن لا نفكر بالسفور، ولكن بالعري الإنسان حسب مفهوم هذه الحرية مثل الحيوان. يعني علاقات الإنسانية الجنسية مثل علاقات الأكل والشرب. . . الخ علاقات طبيعية يمكن أن تمارسها أمام الناس؟! لماذا تضع الآن حدوداً للممارسة الجنسية؟ حتى أنت المتطور، المفكر، ما هي الأشياء الأساسية التي تدعوك لأن تضع حدوداً للعلاقات الجنسية، لكي تكون ضمن نطاق ضيق؟ لماذا تضع المرأة ستراً على الثديين علماً أن الثدي هو عضو تناسلي أو عضو جنسي فاضح، وكما يجب أن تتستر هذه الأعضاء الجنسية الفاضحة، يجب أيضاً أن تتستر الأعضاء الجنسية الأخرى، الأقل انفضاحاً. هناك عضو جنسي بنسبة مئة بالمئة، يوجد عضو جنسي بنسبة ثلاثين بالمئة وأربعين بالمئة. فأنا عندما أبرر كشف الأعضاء الجنسية الأقل انفضاحاً، عليَّ أن أبيح كشف الأعضاء الأخرى. وعليَّ أن أبيح النتائج. عندما تخرج فتاة سافرة، هل يمكن أن تبتعد عن التفكير الجنسي، هل هناك كما يقال الإحساس بالشخصية الجمالية؟ لذلك علينا أن نخطط لأنفسنا القاعدة؟

الآن الواقع الذي نعيشه هو واقع جنسي بمعنى الخلفيات الشعورية والخلفيات الفكرية في العلاقات هي خلفيات جنسية. لماذا الآن أكثر علماء الاجتماع يقول أنه لا يمكن أن يكون هناك صداقة بين رجل وامرأة. الإنسان ليس قالباً محنطاً. هناك غريزة.

مسألـة الحجاب والسفور لا نتكلـم فيها بـالمطلق، هل أنـت مع الضـوابط الأخـلاقيـة بين الرجـل والمرأة؟ إذا لم تكـن مـع الضوابـط الأخـلاقية، فعليـك أن تفسح المجـال للعري وللعـلاقات الجنسيـة العلنية. بـأن تكون المسألـة مجرد حالـة ذهنية تزيـل الحجب وتكسر الحواجز.

وعندما تقـول، لا بد من الضوابط، لا بد أن تخلـق الأجواء التي تهيء هذه الضوابط.

*** سماحة العلامة، المقصود بالحجـاب الذي يغطي وجه المرأة كلياً، وليس الحجاب الذي يسمح بكشف وجه المرأة؟**

قلت أن هذه أشيـاء جاءت من التقاليد مثـل تقاليد الأوروبيين. هذه ليست حالة فكرية، هذه حالة فيها رواسب دينية.

العلاقة السوائية بين الإسلام، وأهل الكتاب

*** في العصر العبـاسي خـاصـة بعـد إنشـاء «بيـت الحكمـة» لعـب المسيحيـون دوراً مهماً إلى جانـب المفكـريـن الإسلام في نقـل التراث اليوناني إلى العربية، وكان هناك نوع من التفاهم بين هاتين الطائفتين السماويتين الكبيرتين، فلماذا حصـل هـذا الجفاء بعـد ذلـك، ولأيـة أسباب؟**

في الإطار الفكري، لا أعتقد أن هناك جفاءً بين مفكري الإسلام، ومفكري المسيحية إلا مـن خلال طبيعة الجفاء بين فكـرين مختلفين، من دون أن يـؤثر ذلـك على الحالة النفسية في هـذا المجال. ولـذلك فإننا نتصور أن المسألة بين المسيحية وبين الإسلام لم تنطلق من خلال

وجود مشكلة في طبيعة التنوع الفكري فيما بينهما، لأنك تستطيع أن تقرأ المسيحية في القرآن، كما تستطيع أن تقرأ كثيراً من الأفكار القرآنية في الإنجيل. ونجد أن الإسلام تحدث عن المسيحية بطريقة ودية جداً **﴿ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾**، كما أن القرآن الكريم أكد على مسألة الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب بالتعبير الذي يتفوق على كلمة (التعايش)، **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾**، وكلمة السواء تعني الوحدة.

الفصل الثالث

مع وفد مجلة «المسيرة» ويبدو الزميل عماد موسى إلى يسار العلاّمة.

العلامة الفقيه، والإسلام، والثقافة العربية

* هل تعتبرون ان الإسلام قذف بالثقافة العربية الى الامام؟

عندما ندرس آفاق الثقافة العربية قبل الاسلام فإننا نجدها محدودة بحدود ضيقة جداً في نطاق الاشعار الجاهلية التي قد يناقش بعض الناس في صدقيتها، كما أثير في بعض المراحل الثقافية من عصر النهضة، الحديث من التشكيك في الشعر الجاهلي، أو كلمات الحكمة او الخطابات،التي كانت تمثل ذهنية محدودة في الافاق العامة للثقافة، لذلك اتصور أن الإسلام قد استطاع ان يعطي الثقافة قوة دفع إلى الأمام، ومن خلال ما أثاره من أفكار فلسفيه ومن خطوط قانونية، ومن مفاهيم متنوعة حول مفردات كثيرة مما تثير قلق الأنسان وتثير تفكيره بالمستوى الذي جعل الفكر العربي يتحرك في هذا الاتجاه، وجعله يعمل على ان يجد الكثير من مجالات البحث في هذه الابعاد التي تحمل خطاً فلسفياً، أو تحمل خطاً أدبياً، أو فلكياً أو حسابياً . . . الخ ومن هنا أنفتح الافق العربي على مجالات جديدة من

المعرفة جعلته يتجه الى البحث عن هذه المفردات في ثقافات اخرى .

وبهذا بدأت الثقافة العربية . من خلال علامات الاستفهام التي طرحها الإسلام ومن خلال الاجواء التي خلقها في حلقة الفكر، التقت الثقافة العربية بالثقافة الاخرى ، وبدأ عصر الترجمة . واستطاعت الحضارة الإسلامية أن تحقق من هذه الثقافة المتنوعة مزيجاً جديداً ، امكن بواسطته ان تضع أسساً جديدة لحركة الفكر. نحن نعرف ان التفكير الإسلامي هو الذي اكد على التجربة كمصدر من مصادر المعرفة بالاضافة الى العقل كمصدر من مصادرها .

وهذا هو الذي جعل اوروبا تنفتح من خلال الفكر الإسلامي الذي التقت به في الاندلس وفي تجارب العلماء المسلمين الذين كتبوا في الطب والفلك وفي كثير من الوان المعرفة . لذلك نعتقد ان الإسلام استطاع ان يدفع الثقافة العربية الى الامام . فبعد ان كانت مجرد ثقافة تتصل بالجانب الأدبي، أصبحت ثقافة تخترق الأفاق العلمية الواسعة ، بحيث أصبحت البلاد العربية ، من خلال الإسلام مصدراً من مصادر الثقافة للعالم كله .

*** إلا ترون ان هناك تناقضاً بين بعض تيارات الثقافة العربية والإسلام ، مثلاً ، إبراهيم النظام ، المعري ، ابو النواس . . . . . ؟**

في الواقع ، عندما نريد دراسة الثقافة الإسلامية في النطاق العربي ، أو الثقافة الإسلامية في غير النطاق العربي ، نجد إنها اصطدمت بتيارات فكرية غير إسلامية ، وتنوعت هذه التيارات في التعبير عن نفسها بطريقة الشك تارةً ، كما نلاحظه في بعض تجارب أبي العلاء المعري ، أو في الألحاد ، كما نلاحظه في بعض المفكرين الفلسفيين ممن

كانـوا يسمون في وقتهـا بـ (الزنـادقة) أو في التفكير الـذي ينفتح على المحـرمات، كـالخمرة كما قـد يـلاحظ في بعـض تجارب الشعراء أبـو نواس.

*** من الطبيعـي ان أية ثقافة تنطلـق في أي موقع من المواقـع لا بد أن تثير في مجتمعها ثقافة مضادة ؟**

لا أقصد حتمية حصول ذلك ولكنـه شيء طبيعي، لأن الثقـافة عندما تنطلق فإنها تثير الكثير مـن علامات الاستفهام، وربما تتحرك في ساحة صراع مع ثقافات أخرى تحاول ان تؤكد مضمونها في مواجهة هذه الثقافة. لأننا اذا درسنا القرآن الكريم فإننا نجد القرآن منطلقا في طريقة الحوار ليقدم الرأي المخالف للطـروحات التي كان يطرحها في الدعوة الى الله، مما كان يؤكد علامات الأستفهام الكثيرة التي تنتشر في أذهان الجمهـور الذي يعيش في دائرة هذه الثقـافة. حتى إننا عنـدما ندرس الأسلـوب الحواري الذي طرحه القـرآن فأننا نجد أنـه أسلوب ينطلـق فيه الأنسـان مـن الشـك ليصل إلى اليقين، ولعـل أسلـوب الأسلام في الحوار هو الأسلوب الذي لم يستطع ان يتقدمه أي أسلوب جديد حضاري.

أننا نعرف ان الاسـاليب الحضارية في الحوار تقـول: رأيي صواب يحتمـل الخطـأ، ورأي غيري خطـأ يحتمل الصـواب، ولكـن القـرآن عندما يطرح أسلوب النبي في مواجهة الكفار، يقول: ﴿ **إنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضـلال مبين**﴾. أنه يطـرح المسألة بعيداً عـن ذاتية الفكرة. فـالذات ليس لها أي دور في الفكـرة، بل الـذات تقف على خط الحيـاد بين فكرهـا وبين فكر الآخر. إمـا ان أكون أنـا على هدى

وأنت على ضلال، أو أكون أنا على ضلال وأنت على هدى، من دون أن يعطي المحاور ذاتيته كمفكر، عندما يتحدث مع الطرف الآخر.

ومعنى هذا، أن الشك يعتبر اساسياً في حركة الثقافة الإسلامية. ومن الطبيعي ان يترك هذا الكثير من الأجواء التي تتحرك مع الشك وقد لا تصل فيه الى نتيجة، أو قد تصل فيه الى نتيجة مضادة. ونحن عندما ندرس القرآن الكريم، وندرس التجارب العلمية التي عاشها المفكرون المسلمون نجد ان الإسلام كان يتقبل النقد، ويتقبل الرأي المضاد ويطالب الناس بألا ينطلقوا في الرأي المضاد على أساس إرث الاباء والاجداد، أو على اساس الجوانب العاطفية، والمصلحية بل على اساس الحجة، ولذلك قال: **﴿هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين، ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجّوني فيما ليس لكم به علم﴾**. (آل عمران ـ ٦٦) لك الحق في أن تدخل في حوار وفي جدل، ضد الفكر الديني بالذات، ضد عقيدة توحيد الله، ضد العقيدة بالنبي، باليوم الآخر، ولكن عليك عندما تريد أن تدخل في هذا الجدل أن تقدم دليلك على نقض الفكرة المضادة. أو على اثبات فكرتك، أما ان تقف على أساس أثارة التساؤلات من دون أن ترتكز على أساسٍ فكري، أو من دون أن تستمع الى الوجهة الأخرى التي تجيب على اسئلتك، فهذا ليس مرفوضاً لأن هذا ليس هو أسلوب الفكر الذي يريد أن يدخل الصراع فيما هي المسألة الفكرية.

الإسلام، والشك، والحرية في القرآن

إننا نلاحظ أن الاسلام خلّد الشكوك التي كانت تثار حول نبوة النبي، لقد تحدث عمّا قالوا عنه، إنه كاهن، أو شاعر، وإنه مجنون وواجه الأسلام هذه التهمة للنبي بمواجهة جد عقلانية، عندما قال: **﴿قل أنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّة﴾** (سبأ / ٤٦). يعني انفصلوا عن هذا الجو الاجتماعي الذي تعيشون فيه حالة الانفصال عن حرية تفكيركم الذاتي، ويعبر عنه بعض علماء النفس، بالعقل الجمعي. أنا لا أطلب منكم أن تقولوا اني غير مجنون، لكن حاولوا ان تنفتحوا على الحقيقة التي هي الله، ثم تفرقوا، مثنى للتفكير معاً، وفرادى ليرجع كل انسان إلى فكرة بشكل هادىء ثم تتفكروا، عندما تعرفون ما قلت، وما تحدثت به **﴿ما بصاحبكم من جنه، ان هو الا نذيرٌ بين يدي عذاب شديد﴾**. فنحن نلاحظ ان القرآن الكريم أعطى الحرية للناس أن يواجهوا كل الأفكار المضادة حتى التي تتصل بشخصية النبي في عقله وفي طبيعة رسالته . . . الخ حتى أننا نلاحظ أنه عندما يطرح الناس مسألة، ان النبي علمه بشر. **﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنَّما يُعلِّمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين﴾**. أننا نلاحظ أن القرآن يؤكد على شبهة أثيرت ويُخلّي هذه الشبهة للتاريخ، ويطلب من الناس أن يؤمنوا بالرسول على أساس أن يواجهوا هذه الشبهات من منطق الفكر.

لذلك فإن مسألة وجود شخصيات قلقة، أو شخصيات حائرة، أو شخصيات رافضة في مجرى الثقافة الإسلامية. هذا أمرُ جد

طبيعي، ونحن نحب أن نستذكر بهذا المجال نقطة قد لا ينتبه إليها الكثيرون. تراثنا الإسلامي الشيعي يتحدث عن الأمام جعفر الصادق (ع) الذي يمثل قمة فكرية متنوعة لدى كل علماء المسلمين. كان يجلس في المسجد الحرام، قرب الكعبة وكان يجتمع إليه الأشخاص الذين يعيشون حالة رفض ضد التفكير الأسلامي مثل، أبن المقفع، ابن أبي العوجاء، وأبي شاكر الديصاني، حتى ان بعضهم كان يتحدث معه بكل حرية حول الحج، «الى كم تدرسون هذا البيدر». يعني كأنه يسخر بالحج. كان الأمام الصادق في ذلك المكان المقدس يستمع إليهم ويجيبهم بكل رحابة صدر ويناقشهم مناقشة علمية فلسفية مقنعة، حتى أن بعضهم كان يقول: (لا اتذكر مضمون حديثه حرفياً) لا أجد انساناً يستحق أسم الأنسانية في هذا الجمع غير جعفر الصادق (ع).

أننا نأخذ من هذا فكراً، أن أماماً بحجم الأمام جعفر الصادق يجلس في مكان من أكثر الاماكن قداسة عند المسلمين، ولا يمنعه ذلك من ان يعطي الأخرين الحرية في أن يناقشوه في أسس العقيدة، وفي تفاصيل العقيدة.

الإسلام والعلم

*** الأديان كلها أعتبرت أن الله خلق العالم إبراهيم النظام أول من تحدث بإنشطار الذرة وهذا ما يناقض العلم والدين؟**

ـ من الخطأ جداً أن يُطرح الفكر الديني على أساس أن قاعدة هذا الفكر، هو أن الله خلق الكون بشكل مباشر من دون أن يكون

خاضعاً لقوانين في عمق تكوينه، أننا نؤمن من خلال صفتنا الإسلامية، من دون أن نحيد قيد شعرة عن التفكير الإسلامي. نؤمن بأن هناك في الكون سنناً كونية، وهي ما تمثله قوانين الكون الطبيعية في الكون، وفي الحيوان وفي الأنسان. حتى أننا من وجهة النظر الإسلامية نؤمن بأن هلاك المجتمعات ونمو المجتمعات تخضع لقوانين موجودة في حركة الكون بحيث أنها تتحرك ضمن نطاق خاص. ومسيرة خاصة، فنحن مثلاً، نجد أن النظرية (الداروينية) التي تقول أن جد الأنسان، والقرد من أصل واحد. هذه النظرية لا تنافي اساس الفكر الديني. لأن هذه تقول أن الانسان تطور بفعل عوامل معينة موجودة في الكون، من قرد الى هذه الصورة الحالية.

والدين عندما يريد أن يتدخل في هذه المسألة يسأل من أين جاء هذا التطور؟ هل التطور حالة ذاتية في الجماد؟ هل هو حالة حتمية؟ أو حالة غير حتمية؟ إذا كان حالة غير حتمية فيكف نشأ وما هي القوة التي دفعته؟ هنا يأتي الحديث عن الخالق. نعم أنه ينافي التاريخ الديني. نظرية داروين لا تنافي الفكر الديني، يعني أصل ارتباط الأشياء بالله، بل هي قد تنافي بعض ما يفهم من التاريخ الديني، الذي يقول: **﴿لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه اسفل سافلين﴾**. وهذا يدل على أن الأنسان كان إنساناً في صورته الأولى ولم يكن قرداً. وهذا ما تؤكده الكثير من المناقشات الأخيرة في نظرية داروين التي أكتشفت أن هناك الكثير من الثغرات التي جعلتها مجرد نظرية علمية منطلقة من حالات تأملية، ومن تجارب محدودة بحيث لا تستطيع ان ترقى الى مستوى القطعيات. وعلى ضوء هذا نستطيع ان نقرر حقيقة. وهي ان العالم الديني، والعالم المادي عندما يجلسان

أمام المختبر فأنهما يفكـران بطريقة واحدة، يبحثان عن الظـاهرة، ما هو سببهـا، لكن الفـرق بين العالم الـديني والعـالم المادي، أن العالم الديني عندما يكتشف السبب يفكر من الذي أعطى السبب سببيته. بينما لا يفكر العالم المادي بهذه الطريقة. ولهذا فأننا، كمسلمين نؤمن بقانـون السببية في الكـون، وان الله خلق الكـون على أساس نظـام. ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾. ونجد أنه عندمـا نتحدث عن عملية التغيير. ﴿**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بـانفسهم، ما كان الله مغيراً نعمة انعمها على قـوم حتى يغيروا ما بأنفسهـم، ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾.

نحن نفهـم ان كل ظاهـرة كونية، او ظـاهرة أجتماعية أو ظـاهرة تاريخية تنطلق من خلال قوانين مودعة في حركة هذا الكون، وغاية ما هنالك، أن عمق هذه القوانين هـو، الله. ولهذا عندما يتحدث أنسان عـن تجزئة الذرة، ولـو قلنا بتجـزئة الـذرة يبقى السـؤال: من الـذي أعطاها هذه القوانين المتحركة في داخلها، ولذلك ليس هناك فرق بين من يقول بتجـزئتها، وبين من لا يقول بتجزئتهـا لأنهما ينطلقان معاً، من خـلال التفكير الدينـي الذي يرى، ان الله أودع في الـذرة قانـوناً يسمح لها بأن تتجـزأ وتتحول الى طاقة، وبين مـن يقول ان الله خلقها على شكلها الحالي.

الإسلام والمسيحية كحضارتين

*** الحضارة الإسلامية، والعربية عرفت أوج ازدهارها أيام المأمون القائل «بخلق القرآن» «بإنزاله» ترى، كيف يتصور العلامة محمد حسين فضل الله حالة الإسلام فيما لو انتصر المأمون؟**

أحب أن أوضح أن المأمون نادى بـ «خلق القرآن» لا بـ «انزاله» لأن الأوامر التي أصدرها إلى عماله في الولايات كانت تقضي بملاحقة الذين لا يقولون بـ «خلق القرآن» انطلاقاً من الآيات التي تتحدث عن انزاله قرآناً عربياً. لقد كانت المسألة النظرية تتمحور حول «قدم القرآن» بمعنى أنه غير مخلوق لأن الله قديم، والقرآن هو كلام الله، وإذا كان الله قديماً فكلامه قديم. المأمون، ومن تبعه من المعتزلة يقولون أن القرآن هو كلام من أفعال الله، وهناك أفعال مثل «الخلق» لذلك، قد يكون رأي المأمون يمثل الخط التحريري في الفكر الإسلامي على أساس أنه ينتهج خط المعتزلة في مقابل تيار الأشاعرة الذين لا يؤمنون بالحرية الإنسانية، والحسن والقبح العقليين بينما المعتزلة يؤمنون بالحسن والقبح إلى جانب إيمانهم بحرية إرادة الإنسان.

*** هل صحيح أن الأسلوب النبوي تأثر بما قبله أي أن الرسالة المنزلة على النبي كررت نفسها في غير موضع فكان هذا التشابه بين الإسلام والمسيحية؟**

عندما نتحدث عن تأثر أية شخصية دينية أو سياسية بما قبلها فلا بد لنا من أن نرصد علاقة هذه الشخصية بهذا التاريخ أو بهذا الواقع. هنا، علينا تناول المسألة من زاويتين: الأولى خط التفكير

الإسلامي الـذي يعتبر أن النبي محمد انطلق بـالرسالة مـن الله، وأنه اختزن كل تجارب الأنبياء، وكل أفكارهـم، وكل المؤثرات التي تركت تأثيرهـا في حركتهـم سلباً أم إيجابـاً من خـلال القرآن الكـريم الـذي تحدث عن الأنبيـاء، وأعمالهم مثل التوراة، والإنجيـل، وكل تـاريخ النبوات كان حـاضراً في النص القرآني أي حاضراً في الـوعي النبوي.
ومن ذلك، ما نلاحظه في الآية التي تتحدث عن السر في انزال القرآن على دفعات أي أن الحركة القرآنية جاءت متـدرجة لأهداف توعوية.
إن الفكر الإسـلامي يعتبر القرآن وحياً مـن الله، وأن النبي تربـى من خلال حركة القرآن. لذلك، إن مسألة التأثر لا تمثل حالة واقعية من خلال الترابط العملي بين النبي وبين الأنبياء الذين سبقوه. إن الوعي النبوي حـالة ثقـافية انطلقـت من خـلال النص القـرآني الذي يعتبر الإسلام حالة شمولية تطل على كل المفـاهيم الرسالية التي جاءت بها النبـوات السـابقـة، وفي طليعتهـا اليهـوديـة، والمسيـحيـة. التفكير الإسلامـي يرى أن الـوحي هـو الذي عمـل على تنضيج هـذا الفكر الشمـولي، وإذا رغبنا أن ننـزل إلى الـواقع بعيـداً عـن ما هـو التفكير الإسلامي، لنـرصد النبي في حياتـه الخاصة من خلال مـا وصلنا من مفردات التاريخ فإننا لا نجد وقـائع تاريخية أمينة نستطيع من خلالها أن نطل على شخصيـة النبي كشخصية متفتحـة على مواقع السـاحة المسيحية. قد ينقل التاريخ، وعلى عجالة، حديث ورقة بن نوفل عم خديجة بنت خويلـد زوجة النبي. قد ينقل التاريـخ قضيته، وأنه هو الذي شجع النبي عندما أخبرته خديجة بأول حالة من حالات الوحي لكن التاريخ الذي يدخل ورقة بن نوفل في المسألة يقول أنه مات بعد سنة أو سنتين مما سمـح القول بعدم إمكانية تأثـر النبي به لا سيما إذا

عرفنا أن ورقة بن نوفل عبر عن إيمانه بما رآه من النبي أو بما سمعه على أنه حالة رسالية حقيقية تعتبر امتداداً للرسالات السابقة. النص التاريخي يتحدث على ذلك، وليس عندنا نص تاريخي آخر.

عندما ندرس حياة النبي تبدو لنا هذه الحياة بسيطة، ليست فيها أية حالة ثقافية، وأن القرآن كان أميناً في نقل الأفكار المضادة تماماً كما هو أمين في نقل الأفكار المناصرة. لقد استطاع القرآن أن يحدثنا بأمانة عن عناوين الشك في شخصية النبي الذي لم يستطع أن يحصل تجربة ثقافية كافية قبل النبوة أو أية معلومات تاريخية يستطيع من خلالها التأثر بما قبله من الأنبياء.

كانت للنبي رحلة تجارية إلى الشام، محدودة بزمن معين لا يفسح مجالاً للحركة، أو أية عملية استيعاب جادة. إن التقارب بين الإسلام والمسيحية انطلق من خلال الجو القرآني، وطبيعة المفردات القرآنية التي تحدثت عن أهل الكتاب بشكل عام كمجموعات تلتقي بالمسلمين في أكثر من موقع. ولذلك، دعا القرآن أهل الكتاب إلى كلمة سواء وعندما تحدث بشيء من السلبية عن أهل الكتاب تحدث عن بعض المفردات المتصلة بالتصور حول شخصية المسيح أو حول شخصية موسى، ولذلك كان هذا التقارب بين الإسلام والمسيحية من خلال هذه الخطوط التفصيلية للواقع، بالإضافة إلى الخطوط العامة..

*** هل صحيح أن النبي كان يضيق ذرعاً بالشعراء؟**

ربما وهذا الضيق بالشعراء عائد إلى مسلكية هؤلاء الشعراء في مجتمعهم، وإلى الأفكار التي كانوا يبثونها في الناس بهدف معاكسة

رسالة النبي.

«والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تـرَ أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون... ربما هذا النص لعب دوراً في تكوين صورة محددة عن علاقة النبي بالشعراء.. ربما كان تعظيم الشعراء حالة حضارية عندما انفتح العرب على الأمم الأخرى، ولكنهم في حياتهم الجاهلية لم يكونوا يروون للشعر قيمة بالمعنى القيمي للإنسان مع حاجتهم إليه ليتحدث عن تاريخهم. كان الإسلام في مواجهة الحرب الإعلامية المضادة يريد أن ينزع عن النبي صفة الشاعر، ونحن نعرف أن قريش كانت تحاول التخفيف من تأثيرات أفكار القرآن في نفوس الناس.. كانت صفة الشاعرية لا تليق بالنبي الحامل رسالة فكرية، رسالة روحية مع كل مضامينها الأخلاقية.. لم يكن هناك رفض للشعر بل رفض لالحاق صفة الشاعر بالنبي، ورفض للاستغراق في الخيال، والابتعاد عن الواقع...

*** هناك اتهام لبعض طروحاتكم بالانحياز نحو الإسلام مع إلغاء لمفهوم العروبة علماً أن الآية واضحة، ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً بلسانٍ عربيّ مبين﴾، علماً أن الإسلام شكل الوجه النضر لحركة الأمة العربية؟**

لا أدري مدى دقة الذين يثيرون مثل هذا الاتهام لأني من الناس الذين يطرحون فكرهم على أساس أن الإسلام لا يلغي خصوصية الإنسان أنا إنسان لي ذاتيتي، ولي عائلتي، ولي أرضي، ولي جغرافيتي، ولي قوميتي، ولي إنسانيتي الواسعة. الإسلام تعددي في مسألة احترام الخصوصيات الفردية. هذا شيء في عمق الإنسانية

الواقعيـة فكيف يمكن أن يصادره الإسـلام. أنا لبناني أعيـش في بلد معين لا يمكن أن ينتزع الإسلام مني أحد أو أن يسلبني لبنانيتي. أنا مدينـيّ، كذلـك، للعروبة لغـة تاريخ، وإحسـاس، وحركـة حياة مجتمعية. الإسلام يـربطني بكل ذلك، ولا معنـى أن نجعل الإسلام في مواجهة العـروبة، أو الوطن، أو العائلة. بعـض العروبة تحول إلى أيديـولوجيا، إلى التزام بـالماركسية أو الاشتراكية لكنني لا أقـف ضد القوميـة العربية، أنـا أقف ضد الفكـر الآخر الـذي اختارته القـومية العربية، أنا أقـف ضدك من خلال فكرك، ولا أقف ضـدك كإنسان إذ لا يمكنني أن أتحدى الإطار الإنساني.

أنت لا تستطيع أن تفكر من خـلال صفتك بالمطلق، وعليك أن تفكـر بـالمحدود لـلالتصـاق أكثـر بالإنسـانيـة التـي تربـط النـاس ببعضهم. ولعل أبلغ تعبير ما قيل أن النبي سئل: «انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً»، هذا ليس حديثاً شريفاً.

هذا كلام منتشرٌ في الجاهلية، وتبناه الناس في الإسلام. ولما قيل: عرفنا كيـف ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظـالماً أجاب: إن تنصره على نفسه، أن تنصره على نزعة الشر، أن تنصره على الشيطان.

*** الإسلام نهى عن التفاهم مع المشركين على كـافة ألوانهم لكننا اليوم نشهد تعاونـاً إسلامياً مع دول لها صفة الاشراك فيستورد منهـا كل ما يقع تحت المحظور الديني الإسلامي. تـرى أليس هذا تنازلاً من قبل الثورة الإسلامية التي لم تستطع خلق بنيتها الاقتصادية المتطورة؟**

الإسـلام لم ينه عـن التعـامـل مع المشركين وفي القـرآن طـرح لهذه المسألـة على أساس طبيعة العلاقـات الشعورية، ودعا إلى التسـامح

الديني. لـذلك الإسلام لم يمنع المسلمين من التعـامل مع المشركين، ولكنه وضع خطـوطاً في الحالة الشعوريـة أو وضع خطوطاً في المسـألة السياسيـة في بعض الحالات التـي ينبغي لـك أن تتعامـل معها مـن خلال علاقات إيجابية.

الفصل الرابع

الفن يعني مواجهتك كوناً واسعاً

*** عبر التاريخ تكونت مفاهيم متنوعة حول الفن، ومن ذلك خلاصات «إخوان الصفا»: «إن المهارة في أي عمل ما هي إلا تشبه بالخالق العظيم».**

برأيكم، ما هو الفن، ما هو دوره؟

عندما تواجه كلمة الفن فإنك تواجه كوناً واسعاً يمكن أن تصطدم به في كل الموجودات، لأن الفن الموجود في إحساسنا الإنساني، هو عبارة عن حركة في الموجود تعمل على الاستفادة من عناصره الذاتية لإعطائه صورة متقنة، أو مبدعة أو جميلة، أو صورة تحمل بعض خصائص الحركة في اتجاه موجود آخر. ولذلك فإننا نقول: إن لكل شيء فنه، لأن لكل شيء طريقته التي يتمظهر بها في استجماع عناصره وخصائصه وتمازجها، وتفاعلها من خلال حركة الفكر الإنساني فيما يعطيه لهذه العناصر من خصائص يمكن أن تنتج شيئاً آخر، أو ما يمكن أن يكون الفن الكوني الذي ينطلق من خلق الله الذي يعطي لكل شيء جماله، و إبداعه واتقانه وفنه.

*** قدامة بن جعفر يعرِّف الشعر بأنه «كلام موزون مقفى يدل على معنى»، هل هذا كافٍ؟ نقول ذلك مشيرين إلى القصائد التي**

تنشرها في «النهار» ويستقبلها القارىء كحدث؟

عندما نـريد أن نتحدث عن الشعـر من خلال الشكل في مقـابل النثر، فمـن الطبيعي أن نقارب بهذا الفهـم معنى الشعر على طـريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي. ولكننا عنـدما نريد أن ننفتح على الشعر كفنٍ إنسـاني، في طريقـة التعبير عن آفاق الإنسـان وخيالاتـه، وعن إحساسـه وشعوره وحركتـه وتطلعاتـه في الحياة، فإن هـذه الكلمة لا تستطيع أن تعطينـا كل هـذا المعنى، لأنها تعطينـا الشكل، والشعـر ليس شكلاً فقـط. الشعر يضجّ بكل العالم الذي يعيشـه الشاعر في انفتاحـه على كل تجاربه الـذاتية، وعلى كل حركـة الحياة من حـوله. يمكن أن يكـون قدامـة بن جعفـر أراد أن يعبر عن هـذا من خـلال الكلام، على أن مثل هـذا الكلام يمكن أن يحتضن كـل تلك الألوان الروحية والفكرية والواقعية... إلخ.

نحن نعتبر أن الشعـر كفن يمثل الأسلـوب التعبيري الذي يحاول أن يصور الإنسـان بكل جماليـاته التـي يختزنها في داخـل نفسه أثنـاء تفاعله مع الكون.

*** ما هو الشعر، وكيف تعرّفه؟**

لا أستطيـع أن أعـرف الشعـر، كما أننـي لا أستطيـع أن أعـرِّف الإنسان. أنـت تستطيع أن تضـع يدك على جـانب مـن الشعر، كما تستطيـع أن تضع يـدك على جـانـب من الإنسـان، على أسـاس أن الأشيـاء التي تستطيـع أن تقولبهـا باصطـلاح معنى تـدخل هـي في الشطر الجامـد، أما الأشيـاء المتحركة التـي تصنع لـك كل يـوم أفقاً

جديداً، وجمالات جـديدة، وأحاديث جـديدة وأجواء جديـدة فإنها تعطيك متنـوعات لا حد لها، ولك أن تـلاحق كل ذلـك لتضعها في قالب لفظـي معين! هناك كثير من الأشياء تعيشهـا، ولا تستطيع أن تحددهـا بتعبير، تمامـاً كما هـو العطـر في الـزهـر، وكما هـو الجمال في الكـون. فمهما استنفـرت كـل اللغـة للتعبير عـن الإحسـاس الجمالي بالكون، فـإنك لا تجد كلمة تستطيع أن تنقل هذا الإحسـاس كم لو كان شيئـاً ذاتياً. إنها تعطيك بعضهـا ولا تعطيك الشيء كلـهُ. نحن نتصور دائماً أن ألف قصيـدة عن العطر لا يمكن أن تعطيـك مفهوماً عنـه ولا يمكـن أن تحل مكـان استنشــاق رائحـة العطـرة في لحظـة سريعة. إن ألف قصيـدة عن الجمال لاتستطيع أن تمثل إحسـاسك، ان تمثل هـذه الحالة النفسية التـي تعيشها في تطلعاتـك نحو الجمال.

الشعر يخلد الجمال على طريقة ما ذكره الأخطل الصغير:

«ما الحسن لولا الشعر

إلا زهرة

يلهو بها في لحظتين النظرُ

لكنها إن أدركتها رقة من شاعر

أو دمعة تنحدر

سالت دماء الخلد في أبياتها

ونام تحت قدميها القدر»!

الشعـر يستطيـع تخليـد الكثير من الصـور الجماليـة، ولكنّـك لا تستطيع أن تؤكد مصطلحاً محدداً للشعر.

*** الشعر حالة بين الوعي الإنساني، واللاوعي، والحالة الذهنية. فأكثر الشعراء العرب، وحتى المسلمين كانت حالة الشعر عندهم تترافق مع الكأس، والخمر؟.**

هناك شعراء انطلقوا بعيداً عن التزامهم الديني. وفي هذه المسألة يتصل الشعر بجانب الفكر، والممارسة إذ هناك الكثيرون من الشعراء الذين يحملون فكراً إنسانياً، أو فكراً إلٰهياً، لكنهم لا يمارسون على أساس أن إرادتهم ليست القوة التي يستطيعون من خلالها أن يخضعوا الممارسة للخط الفكري. وهناك كثير من الشعراء الذين يتحدثون عن الخمر، وعن الكأس على طريق الرمز، باعتبار أن الخمرة تمثل النشوة، وإذا كانت النشوة حالة مادية تماماً كما هي مسألة الخمر، فإنها تمثل عند البعض حالة روحية تعمل على تمهيد الانفتاح على الله، والانفتاح على الأسرار الروحية كما يقولون. وبذلك تدخل المسألة في نطاق الاستعارة، على أساس أن الخمرة في تأثيرها على وعي الإنسان، وعلى شعوره وإحساسه حتى الغيبوبة أو حتى الضبابية التي يعيشها الإنسان في أجواء الخمر التي يمكن استعارتها لبعض الأجواء الروحية، وما إلى ذلك.

*** يقول أبو الحسن الجرجاني: «إن الدين والشعر شيئان مختلفان، ولا يمت الواحد للآخر بصلة»، ما هو رأيكم بهذا؟**

لا أدري ماذا يقصد (الجرجاني) بهذه الكلمة. إذا كان يقصد أن الدين يعبّر عن وحي الٰهي، وإن الشعر يعبّر عن تجربة إنسانية، فقد يكون هذا صحيحاً من حيث المصدر.

ولكننا نعتبر الدين مجسداً لأفكار، وحقائق في الكون وعن الله وعن الحياة، لا سيما الدين الذين يعتبر أن طريقة الإيمان بالله هو الإحساس بالإبداع الكوني، والإحساس بالجمال، والإحساس بكل الألوان الحيّة الحلوة، المتناثرة في الكون، فإننا نجد أن هناك التقاء بين الدين والشعر، لأن الشعر ينفتح على كل جمالات الكون، وبذلك يستطيع أن يجسد الإنسان هذه الجمالات أكثر ليحس بجمال الله أكثر. وهكذا يمكن للشعر أن يعبّر عن كثير من التطلعات الروحية التي يعيشها الإنسان تجاه الله. إن تجسد هذه الأحاسيس، ربما يستفيد منها أناس آخرون لهذا أن الشعر هو أسلوب من أساليب التعبير عن إحساس الإنسان بكل ما يحيطه، وبكل ما يفكر فيه، وبكل ما يتطلع إليه، ومن الطبيعي أن الإنسان عندما يكون منتمياً دينياً فإنه يستطيع أن يعيش إحساسه الديني في إحساسه الشاعري. يستطيع أن يستفيد من تجربته الشعرية في حركته الدينية.

إن الشاعر الذي يؤمن بالله، والذي يعمل الصالحات مطابقا قوله لفعله ليس مرفوضا. ان النظرة السلبية للشعر او الشعراء، من وجهة النظر القرآنية كانت منطلقة من خلال طبيعة المضمون الشعري، وعدم جديته او عدم التزامه، ومن خلال سلوك الشاعر. وعندما يكون الشعر جديا أقصد ملتزما يكون في خدمة الحياة. وليس بالضروري ان يكون هذا الشعر سياسيا بل شعرا يدافع عن الحق، والحرية، والحياة حتى ان النبي كان له شاعر هو حسان بن ثابت وكثير من الفقهاء ينظمون الشعر، وهذا معناه ان الاسلام لم يكن ضد الشعر. والإسلام مع كل اسلوب من اساليب التعبير التي يمكن ان تربط الانسان بالله، والحياة، والحق، والعدل.

الجاهلية والشعر

*** توضيح استلحاقي: قلتم سماحة العلامة ان الناس لم يكونوا يقدرون الشعر كقيمة، ولم يكن هناك شعر ذو قيمة الا بعد الانفتاح على الشعوب الاخرى، مثلا، العصر الجاهلي حيث المعلقات او المذهبات كانت تكتب بماء الذهب لتعلق على ابواب الكعبة؟..**

هذا صحيح، كان الناس يقدرون الشعر لكنهم لم يعتبروا ان للشاعر دورا كبيرا في المجتمع. لهذا كانت الناس تتحدث عن المعلقات من دون ان يكون للشاعر أي امتداد خارج عشيرته بسبب تعبيره عن امجاد عشيرته. لهذا نحن ندرس تاريخ الشعر الجاهلي، اذا صدق هذا التاريخ من دون ان يمثل هذا الشاعر اية قيمة، ولذا نلاحظ ان امرأ القيس كان يتطلع الى البحث عن موقع يدفعه الى القيمة الاجتماعية من مثل مطالبته بالملك. بالنسبة الى عنترة بن شداد، كان يحاول من خلال اشتراكه بالحروب، وتحقيق الانتصارات تأكيد ذاته البشرية، وقيمته الاجتماعية. علينا الا نخلط بين الشعر كمجد من أمجاد القبيلة وبين الشاعر كعنصر يأخذ مكانة كبيرة في مجتمع القبيلة بعيداً عن الحالة الوظيفية. كان الشعر وظيفيا في المسألة العشائرية، ولم يكن من قيمة فنية او قيمة ادبية على الاقل لهذا الانطلاق.

الشعر والإلحاد

*** إذا كنا نريد إلغاء حالة الإلحاد من الشعر العربي، نلاحظ أن أكثر الشعراء الذين اقتربوا من الإلحاد هم من الشيعة، المتنبي، أبو العلاء المعري، إلخ حتى ابن سينا كان له مواقف فلسفية وكان يشرب الخمر؟**

عندما تعد عدة أسماء شيعية فإنك تستطيع أن تعد أسماء أخرى كثيرة في الشعر العربي غير شيعية، وربما غير إسلامية. لكنك عندما تنفذ إليهم فإنك لا تجد هذا الإلحاد بهذا المعنى، قد تجد فيهم نوعاً من أنواع الانفلات في الالتزام الديني، ولكن عندما تجد الجانب الفكري، مثلاً، المعري، فإننا نجد فيه بعض أفكار الشك كما نجد أيضاً الأفكار المغرقة في الإيمان، مما يدل على أن الرجل كان يتعرض لهزّات فكرية، يحاول أن يعبر عنها من دون أن ينفذ إلى العمق في عقيدته الذاتية بشكل حاسم، أما عند المتنبي فلا نجد أفكاراً إلحادية أو تشكيكية، لكننا قد نجد بعض نقاط الضعف في تفكيره وسلوكه، وهكذا ابن سينا. قد يصح أنه كان يشرب الخمر. هذه حالة من حالات الانفلات من الالتزام لكنني أكرر أن الكثير من الشعراء، حتى على مستوى القمة كانوا من غير الشيعة.

القضية، ليست قضية شيعية أو سنية أو مسيحية إنما هي قضية تخضع لطبيعة البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وطبيعة الإرادة التي يستطيع أن يعيش فيها الإنسان.

*** إذاً الفكر الإسلامي أو المسيحي أو الماركسي طرح إيجابيات، كما نجد عندهم أفكاراً رائعة، ولكن القليل منهم يطبق هذه الفكرة؟ ما رأيكم؟**

إنني من الناس الذين يؤمنون بأن كل الأفكار التي طرحت، سواءً كانت دينية، سماوية، أو أفكار وضعية، أرضية. لم توضع على أساس أن تتحرك في حياة الإنسان بشكل شامل، لسبب واحد، وهو أن الإنسان مخلوق حي متحرك لا يستقر على حال، ولا يمكنك أن تخضعه لحالة واحدة، ولكنك تستطيع أن تهيأ الكثير من العناصر التي تغريه بأن يتجه بنسبة كبيرة في اتجاه واحد، لذلك فإن الأفكار الإلهية، أو الإنسانية، تمثل القمة التي يتطلع إليها الناس فتغريهم بأن يستنزلوا منها الينابيع، أو كل الأشياء التي يمكن أن تتحرك فيها ليأخذ منها كل إنسان بحسب طاقته، وبحسب مزاجه، وبحسب إمكاناته.

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في أكثر من آية، عندما يقول: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. يتحدث عن الأكثرية كما لو كانت في الخط المضاد. لا على أساس أن الخط المضاد يمثل حقيقة، لكن على أساس أن الأكثرية ترتبط غالباً بالسطح، ولا ترتبط بالعمق، وبذلك فإنها لا تنفذ إلى أعماق الأمور لتناقشها بالطريقة التي تستطيع أن تكتشف الحقيقة من خلالها. وهذا يلاحظ في حياة كل واحد منّا، حتى في الأفكار الذاتية، نحن نختزن أفكاراً ذاتية بعيداً عن الأفكار العامة. ولكننا في الوقت نفسه نجد أننا لا نلتزمها التزاماً كاملاً، مع أنها تتصل بالحالات الحسية في حياتنا. والسبب في

ذلك هو أن الإنسان حالة قلقة، متحركة يخضع لعوامل حسية متنوعة كما يخضع للجوع وللشبع وللسرور.

الإسلام والموسيقى

*** نريد أن نعرف لماذا حرم الإسلام الموسيقى، والرقص، والرسم مما ساعد على إضعاف هذه الفنون عبر التاريخ العربي علماً أن الله قال: «لا اكراه في الدين» والإسلام نزل كعملية تحرير كبرى للإنسان عامة؟..**

نحن نتحفظ في الحكم الذي نقلته، وأطلقته حول تحريم الإسلام للموسيقى، والرقص، والرسم.. لنبدأ بالموسيقى. إن النظرة الاجتهادية التي تبناها كثير من العلماء الذين يمثلون مرجعية دينية في الفكر الإسلامي كالإمام الخميني، والإمام الخوئي في الدائرة الفقهية الإسلامية الشيعية يؤكدان أن المحرم من الموسيقى هو الذي يثير الغرائز، ويدفع إلى الميوعة، والانحلال، أما الموسيقى الكلاسيكية، الموسيقى التصويرية، الموسيقى الثورية، وكل موسيقى لا تنطلق من عمق تأثيري يخاطب أو يستثير الغرائز فهي غير مرفوضة. وعندما تذهب إلى إيران تجد أن التلفزيون الإيراني، والراديو يذيعان مختلف ألوان الموسيقى. إن المسألة تتعلق بالمضمون لا بالشكل رغم أن بعض الفقهاء يطلقون الحكم بشكل شامل على أن المسألة ليست من المسائل الاجماعية سواء في الفكر الشيعي أو في الفكر السني بل هي من المسائل الاجتهادية التي قد ينطلق فيها بعض المجتهدين ليرسم تحفظات على المضمون، وقد ينطلق فيها بعض المستبدين ليرسم تحفظات على طبيعة تأثير اللحن، و إيحاءاته التي يثيرها في النفس

الإنسانيـة. فعندما يتحدث الإسـلام عن العفة أو يتحـدث الإسلام عن الضـوابط الأخلاقيـة لحركة الغـرائز فليس من الطبيعـي أن يبيح الوسائل التعبيرية التي تثير الغرائز.

أما بالنسبـة إلى الرقص فليس الأمـر محرماً. إن الرقص كـأسلوب تعبيري في حركات الجسد ليس ممنوعـاً، وهذه فتوى للإمام الخوئي، والمحرم هو الرقص الجنسي، ومـن الطبيعي أن تتحدث الفلسفة عن المنهج الأخـلاقي في العـلاقات بين الـرجال والنســاء. كذلـك الأمر بالنسبة إلى الـرسم عندما يتناول الطبيعة، الإنســان، الحيوان. هناك بعض الاجتهـادات التي تحرم رسم مـا فوق الطبيعـة، واجتهادات لا تحرمها. يمكن لـلإنسان أن يرسم كل شيء ضمـن حدود الأخلاق. هناك رسم بمعنـى النحت حرمته بعض الاجتهـادات لتضمنه معنى التجسيد، أو أن الإنسان يعيش حالـة وثنية خفية في ذاته. وربما من الأسباب المتحفظة على النحت هو حالته الصنمية أو أن بعض الناس يحاول تصوير الخالق وفق تصوراته له. إن الإسلام حارب الوثنية حتى في المجال الشعـوري، ولا يريد للإنســان أن يقترب من الحالة الـوثنية التي تجعلـه يقترب من الحجـر، أو من الاحساس بـالصنمية كحـالة جمالية..

* لنعد قليلاً إلى الرقص. إن الذي قلته سيـادة العلاّمة يشكل طرحاً متقدماً عن الآخـرين، ولكننا ما زلنا نشعر أن هنـاك غربة بين رجال الدين في الجو الإسلام العام وبين الرقص!

ربما الأمور منطلقـة من تهاويل بعـض الفتاوى التي يعيـش فيها التاريخ الديني من جهة، وبعـض التقاليد الاجتماعية التي يخضع لها

الناس مع بعض التحفظات المسلكية، لكننا، من حيث المبدأ، كما ذكرت سابقا إذ طرحت المسألة على أساس «لا اكراه في الدين» أو على أساس أن الإسلام جاء للتغيير. عندما نريد دراسة أي فكر في مفرداته الايجابية أو السلبية نرى أنها لا تمثل حالة اكراه بل وجهة نظر يفرضها على الذين يلتزمون به. إن القوانين الوضعية في العالم قد لا تحرم الخمر لكنها تحرم المخدرات، وقد لا تحرم الزنى لكنها تحرم الشذوذ الجنسي. أنت لا تستطيع أن تتحدث عن هكذا قانون كقانون اكراهي على أساس انوجاد بعض التشريعات السلبية التي تمثل حالة سلبية ضد المزاج الإنساني، وإلا أنت تدعو إلى الفوضى التي تجسد حالة سلبية تعمل على تكبيل الإنسان بأساليب أخرى غير قانونية. لهذا لا بد أن نتحفظ في اطلاق العناوين.

إن المشكلة التي عاشها المسلمون والمسيحيون هي مشكلة سياسية، من خلال طبيعة الحروب التي حدثت بينهم، كما حدث في الأندلس، كما حدث في الحروب الصليبية، وكما حدث في الهزات السياسية التي تحركت بعناوين دينية، ولكن من خلال طبيعة التسلط. وهذا ما لم يقتصر الأمر فيه على الإسلام والمسيحية، بل إن المسيحيين أنفسهم عاشوا حروباً سالت فيها الدماء أنهاراً، والمسلمون أنفسهم عاشوا حروباً مماثلة، مما يعني أن المسألة ليست مسألة فكرية، وإنما كانت عناوين لفكر، وكانت واجهات لاجتذاب الجانب العاطفي الساذج للدخول في حرب لمصلحة بعض الأوضاع السياسية المعقدة.

وإنني أتصور ممكناً جداً للمسلمين وللمسيحيين أن ينفتحوا على

عالم الفكـر لينطلقوا لمناقشـة ما يختلفـون فيه وفي اكتشاف مـا يتفقون عليه . وعند ذلك يمكن أن يجدوا الكثير مما يتفقون عليه ، والكثير مما يتعاونون فيه ، والكثير مما يتحاورن حـوله ويختلفون فيه ليتفاهموا كيف يمكن الوصول من خلال الحوار إلى نتائج إيجابية فكرية .

الفصل الخامس

الاسلام واجتماع السقيفة

*** هناك نقطة مفصلية في تاريخ الاسلام هي اجتماع السقيفة الذي اتخذ طابعا سياسيا اكثر مما هو دينيا، وتقرر استخلاف النبي عكس رغبته المعلنة في حياته الامر الذي شق الاسلام وهو في مجد انطلاقاته العالمية فما رأيكم؟ . .**

احب ان اشير تعليقا الى قضية التفرقة بين السياسي، والديني الواقعي في الاسلام. ليس هناك فرق بين ما هو ديني، وما هو سياسي لا سيما ان المسألة التي كانت موضع نقاش هي مسألة سياسية بطبيعتها. ان يكون هناك حاكم للمسلمين فهذه مسألة سياسية، ودينية على اعتبار انها جزء من التشريع الاسلامي او جزء من التنظيم الاسلامي لحياة الناس. من الطبيعي ان يختلف المسلمون في نظرتهم الى تلك المفاهيم لان المسلمين الشيعة يرون ان النبي نص على عليّ بالخلافة في حياته في يوم الغدير، وانه كان يشيد به بين وقت وآخر انطلاقا من كفائته بينما لا يرى السنة ذلك انما يروون ان المسألة تركت من دون تحديد، ويقول بعضهم ان النبي كان يهيء عليا للمسألة، ولكنه لم يفرضه بل ترك الامر للأمة، ومن الطبيعي ان اجتماع السقيفة ترك تأثيراً شديداً على مسيرة الاسلام لانها خلقت حالة عميقة من الخلافات بين المسلمين بحيث تطورت الى بروز خطين في المنهج الاسلامي، وهي ما يسميه بعضي الباحثين المعاصرين مدرسة

الامامة، ومدرسة الخلافة. والمسلمـون في عصر الخلافة الراشدة كانوا اقرب الى المواجهة الواقعية لمثل هذه المشكلة. بعدها، عاش المسلمون اوضـاعا حـادة تحولـت الى حروب بين السنـة والشيعـة ثـم الى حالـة انفصال اعتبرت الشيعة نفسهـا مجتمعا يختلف عن مجتمـع السنة بينما كـان الامـام علي، وهـو صـاحب القضيـة؛ يتعـاون مـع الخلفـاء، ويعطيهم المشورة، والنصـح بالرغم مـن رفضه للمسألة مما يعني ان المتقدمين كانوا اكثر وعيا، واكثر اسلامية.

الحوار مع الاحزاب

*** لنبدأ من السـؤال الاول: هل انتم على استعداد لمحـاورة الاحزاب الماركسية، والعلمانية وصولا حتى برنامج مشترك؟**

من الطبيعي للانسان الذي يحترم فكرة ان بنفتح على الفكر الآخر لأنك لا تستطيع ان تؤكد فكرك إلا اذا انفتحت على الفكر الآخر من موقع مفرداته التي قد تناقش فكرك، وتفتح فيه بعض الثغرات، وقد تفتح لك آفاقا اخرى لم تكن قد انفتحت عليها. لا بد لك ان تبحث عن القواسم المشتركة التي تلتقي فيها مع فكر الآخرين حتى تستطيع ان تتحرك معه، ولو مرحليا، بحيث يهيء لك هذا اللقاء حالة مُمكنة من القـوة لفكرك الذي قد يلتقـي مع الفكر الآخر مـن خلال انضمام طاقـاتك الى طاقات الآخـر بهدف ارساء الحوار لان الحوار من مـواقع اللقاء يمكـن ان يجد الحلول للكثير من المشـاكل، والخلافـات. من الضروري للأفكـار الاسلامية ان تتحـاور مع الافكار العلمانيـة سواء اكانـت ماركسية او غير مـاركسية لا سيما في المسـألة السياسيـة التي نعيش ضغوطها الصعبة المفروضة من قبل قوى الاستكبار.

الثروات العربية، والغرب

*** المنطقة العربية مستنزفة من كل الأوجه، وخيراتها تصب في الغرب، برأيكم ما العمل المجدي للسيطرة على هكذا ثروات له الامة العربية الغنية بعوائدها، والفقيرة على صعيد جماهيرها؟**

هناك خلل في توزيع الثروة العربية سواء على صعيد الداخل العربي ام على صعيد الخارج المستثمر لهذه الثروات. هذه الثروات لم يخلقها الله لتكون ثروة عائلة او افراد او فريق معين من الناس. انها ملك للانسان. اننا لا نفهم معنى هذه الدويلات، لا نفهم معنى التجزئة. نحن نعتبر ان هناك امة واحدة قد تطلق عليها الامة العربية من خلال طبيعة اللغة، وتطلق عليها اسم «الامة الاسلامية» من خلال طبيعة الدين الذي يربطها. من المعروف ان اي استفتاء لم يجر حول طبيعة هذه الكيانات، لهذا نحن لا نعترف بهذه الحدود المصطنعة، ولا نرى أيّ اساس لهذه التجزئة، والتفتيت.

*** والحوار المسلم ـ المسيحي؟ الدولة الاسلامية؟ ما هو موقعكم من ذلك؟..**

لسنا نقيض المسيحيين والمسيحية ليست عندها مشروع شريعة أو مشروع قانوني أو مشروع سياسي بالمعنى المسيحي. عندما يؤمن المسيحي بالإشتراكية عندما أعارضه بإشتراكيته لا أعارض المسيحية أنا أعارض الإشتراكية. لذلك لا تكون القضيّة بين الاسلام والمسيحيّة حتى لو عارضت المسيحي وكذلك المسيحي عندما يعارض المسلم الماركسيّ فإنّه عارض الماركسيّة فلا توجد مشكلة بين المسلم والمسيحي.

العلاّمة مع الرئيس السوري حافظ الأسد.

العلامة مع الوزير وليد جنبلاط

كنت أريد أن أخرج الإسلام والمسيحية مـن الدائرة الغرائزية، من العقليّة الطبليّة إلى العقليّة الذهنيّة الفكـريّة التي يتنفس بها المسلمون والمسيحيّـون الهواء الطلق في صحـو الفكر الـذي يستطيع النـاس أن يتلمّسوا فيـه فكرهـم بطريقة مـوضوعيّـة عميقة. وأن يتخلّصـوا من الطائفيّة التي هي ليست حالة دينية بل هي حالة عشائريّة ترتكز على العصبيّة بقطـع النظر عـن طبيعة المضمـون الفكري لهذه الطـائفة أو تلك الطائفة. فهناك كثير من المسيحيين الـذين يتحدّثون عن حقوق المسيحيين وعن المسيحية كطائفة كملحدين فهناك كثير من المسلمين يتحدّثون عـن الإسلام وعن حقوق المسلمين الملحديـن. هذه النقطة الأولى. النقطة الثانيـة أنني أردت أن أفسح المجال للفكـر الإسلامي وبذلك انفتح على أكثر مواقع الحركة الاسلامية في لبنان. ولذلك فهو ليس إسماً مـؤطراً في حالة حـزبيّة معيّنة بشكل تعليمـي. ربّما كان لي شرف أنّ لي دوراً كبيراً في تربية كلّ هذه الأجيال من الشّباب الإسلامي في لبنان. منـذ أن كنت في النّبعـة من سنـة ٦٦ حتى الآن. ولـذلك فإنّني كنـت أملك الحضور في أكثر المواقع قبل أن يكـون هناك حزب الله وقبل أن يكـون هناك حـزب الدّعـوة وقبل أن تكـون هناك حـركة إسلاميّة في لبنان. لذلك أن يُقحَـم هذا الإسم في دائرة تنظيميّة سواءً بعنوان مرشديّة أو بعنوان زعامـة حزب أو ما إلى ذلك ليس أمراً واقعياً مـن خـلال طبيعـة السّعـة التي يتحـرّك فيهـا هـذا الإسـم في العـالم الإسلامي أو من خلال النشاط الذي يقوم به هذا الإسم في ما يملكه من مواقع في العالم الإسلامي. أحبّ أن أركّز على نقطة في هذا المجال وهو إنّ الموقع الديني الذي أتشرّف بأن أخـدمه يمكن أن يأخذ صفة المرجعيّة الدينيّة في دائرة العالم الإسلامي الشيعي ويطلّ على غير العالم

الشيعي في هـذا المجال ولذلـك فإني لم أعـش الحالة الحزبيّة بـالمعنى السياسي الحزبي وكنت بعيداً عن أجـوائها لأنّ طموحاتها تلتقي بكثير من طموحاتي وعلى هذا الأساس فإنني في الوقت الذي احترم كل هذه الأجيال من الشباب التي كـان لي شرف أنني استطعت أن أكون شيئاً ما في فكرها وفي إحساسهـا وفي ثوريّتها وفي حركيّتها ولا أزال في دائرة المثقّفين اللبنانيين وفي دائرة المثقّفين في العالم الذين يمثّـل لبنان قاعدةً للإنفتاح عليهـم في كل العالم إنّ الإسلام ليس حالةً دينيّة فرديّة بل هو حالـة موضـوعيّة دينيّـة تطلّ على الـواقع الموضـوعي لـلإنسان بكـل حاجـاته وبكلّ حقـوقه. وبهذا فإنّ الطـرح هو طرح فكـري سياسي لمعالجة بعـض الذهنيـات السياسيّـة من جهـة ولإفساح المجـال من خـلال الجو اللبناني المنفتـح لينفتح هـذا الفكر على العـالم. ولذلـك لاحظت أنّه ما مـن وسيلة إعلامية سواءً كانـت أوروبيّة أو أميركيّة أو يابانية أو صينيّة أو سوفياتيّة إلاّ ووجّهت إليّ هذا السؤال: ما هو طرح الجمهورية الإسلامية؟ ولذلـك استطعت أن أشرح مفهومي للإسلام وللجمهوريـة الإسلاميّة بطـريقة واسعـة منفتحة بينما لو لم يكـن هذا الطرح لكنت مجرّد شخـص استهلاكي يتحدّث في القضايـا اللبنانية الإستهلاكيّة بطـريقة لا تشرّف أحداً ولا تخدم أحداً. ولذلـك فإنّ ما حدث في لبنـان لا يمثّل سقوطاً للمشروع لأنّ المشروع لم يكـن يتحرّك على الأرض من خلال الفـرص الواقعيّة التي يعتقد وجـودها ليقال أنّ مـا حدث هـو ضربة لهذا المشروع في الـواقـع. إننا في الـوقت الـذي عارضنا فيه إتّفاق الطائف لأنّه حوّل نظام الطائفي الذي كان عرفاً الى دستور ولم يستطع أن يستجيـب لمطالب الشعب اللبنـاني ولأنّ اتفاق الطائف لم تصنعه القوى التغييريّة بقطع النظر عن رأينا في هذا الفريق

أو ذاك الفريق منها إنّما صنعته من الناحية الرسميّة الكتل النيابيّة التي أكل عليها الدهر وشرب والتي لو رشّحت للإنتخابات الآن لما وجدت إلاّ القليلين ممّن يلتزمون بها من الشعب اللبناني. وفي العمق نحن نعرف على أنّ اتفاق الطائف هو اتفاق أميركي مئة بالمئة. نحن عارضناه لأننا لم نقتنع به ولكننا في الوقت نفسه عندما قيل إنّ الحلّ الوحيد لأنهاء الحرب هو اتفاق الطائف لذلك سجّلنا تحفّظنا عليه ولم نحاربه على الأرض لأننا نعتقد أنّ فرصة السلام في لبنان هي أفضل من فوضى الحرب التي كنّا نعيشها بالرّغم من كلّ السلبيّات التي يريد الآخرون أن يحقّقوها باسم السلام في لبنان.

إنني أتصوّر أنّ الواقع السياسي اللبناني بشكل عام قد يختزن في داخل نفسه الرّغبة في التغيير وقد يحبّ التغييريّين الذين يحترمون أنفسهم وشعبهم ولكنّه قد لا يهيّء نفسه لأنه يسير معهم في الشّوط الطويل لأنّ ذلك قد يخسّره الكثير من مصالحه ومن أوضاعه حتى الآن لم ينضج في المسألة التغييريّة الوعي الشعوري والعملي لدى الإنسان اللبناني سواء كان مسلماً أو مسيحيّاً. وأكاد أقول أنّ مثل هذه الذهنية في طريقة إدارة حركة الحياة في القضايا الكبيرة إنّ هذه الطريقة المؤثّرة حتى على الحزبيّين الذين يلتزمون كثيراً من المفاهيم الحزبيّة ولكنهم أصبحوا يمارسونها بطريقة لبنانية تعلّمهم كيف ينحنون للعاصفة عندما تكون الريح أقلّ وعندما تكون الخسارة أكثر.

إنها مسألة لبنانية وليست مسألة شيعيّة أو سنيّة أو كاثوليكيّة أو فارسيّة أو ما إلى ذلك.

إذا كان الحديث عن المسألة السياسيّة فيما هي لعبة سياسيّة فإنّي

اعتقد أنّها استهلاك يتحرّك في حلقةٍ مفرغة لأنّي لا أزال أحسّ بأنّ لبنان لا يحكمه أبناؤه وإنّما يحكمه الاستكبار العالمي وإنّ اللعبة السياسية هي لعبة مدروسة.

إنني في الوقت الذي أعتزّ بها أنا لا أملك صفة تمثيلية في أيّة دائرة من دوائرها بالرّغم ممّا يحاول الإعلام التركيز على هذه الصّفة. إنني لا أتعقّد منها من حيث المضمون لكنني لا أحبّ أن أحمل صفةً لا أتحمّل مسؤوليّتها في الواقع.

*** أنتم تشكلّون حالةً فكريّة وروحيّة وسياسيّة مميّزة في الحركة الشيعية اللبنانيّة ولهذا لكم أعداؤكم ولكم أنصاركم برأيكم أين تصب حركة الجماهير الشيعيّة اللبنانية المناضلة؟**

في تصوّري أنّ الجماهير الإسلاميّة الشيعيّة لا تبتعد عن الأضواء الإسلامية الحركيّة المنفتحة من خلال أنّها تعيش في كل سنة حسب حالة الرفض للظلم من خلال عاشوراء كما أنّ التزامها بخطّ أهل البيت المنفتح على خط الاسلام يجعلها في حركيّة دائمة في التطلّع نحو مسألة الحريّة والعدل. لكن الجماهير الشيعية كالجماهير الإسلامية الأخرى وحتى كالجماهير المسيحية ككلّ اللبنانيين يعيشون الحياة في الجانب السطحي من الحياة يعيشون الحياة على أساس الإنسجام مع الطموحات التي لا تسكنهم ولا تتعبهم وبذلك فإنّ التغييريّين في الوقت الذي استطاعوا فيه أن يُتعِبُوا الناس تعبوا مع الناس. أتعبهم الناس. عندما تتحرّك الظروف في غير اتّجاههم إثارة الأجواء ومن أجل إبعاد الرّؤيا الحقيقية عن الذين يحرّكون الأخطبوط اللبناني ومن هنا فإنني أتحرّك سياسياً من خلال محاولتي دائماً أن أشير إلى الذين

في اجتماع شيعي ضم أقطاب الطائفة.

مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد

يقفون وراء الكواليس و إلى الذين يمثّلون خلفيّة الحركيّة السياسيّة اللبنانية في بقائها على المجتمع في لبنان لذلك ليست اللعبه السياسية الأستهلاكية التي تتحرك فيها المؤسسات الدينية الرسمية او التي تتحرك فيها المواقع السياسية الرسمية في لبنان لأنني في متابعتي كل الواقع اللبناني منذ الخمسينات حتى الآن رأيت ان اللبنانيين لا يملكون الكثير من ادارة مصيرهم بالرغم من كل الأنتخابات وبالرغم من كل الأحزاب والكلمات والأجتماعات لذلك حاولت ان احترم نفسي في عدم الدخول في اللعبة السياسيه الأستهلاكية لكنني أتحرك سياسياً مع كل القوى في لبنان وفي غير لبنان.

اننا نحاول ان ندرس المسألة او كل مرحلة بحجم الامكانات التي نملكها، ومن الطبيعي ان الواقع السياسي قد اصيب بانهيار كبير بعد عاصفة الصحراء (كما يسمون حرب الخليج)، وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وأوروبا الشرقية على اننا نتصور ان كل قوى التحرك، سواء اكانت عربية او اسلامية او اشتراكية تملك بعض المواقع التي يمكن ان تتحرك من خلالها.

وفي الواقع اننا نتحرك في هذه المرحلة بطريقة معينة مع الكثيرين من الذين يفكرون بالطريقة التي تفكر فيها في الخط السياسي العام التي نواجه بها الأستكبار العالمي من أجل ايجاد بنية جديدة لقوى التحرك او لبقاء قوى التحرك في المنطقة او في العالم . . . .

الدولة والشعب

*** ما هي تصوراتكم حول مستقبل الشريط الحدودي المحتل؟**

كانت مشكلة اللبنانيين ان كثيراً من الميليشيات كانت تفرض على الناس ضرائب، وكانت تصادر حريات الناس نتيجة حالة مزاجية وكانت تعيش وضعاً فوضوياً في حياة الناس وتحول حياة الناس بشكل فوضوي بشكل عام مما جعل الناس يتصورون الميليشيات تماماً كما يتصورون الكابوس الذي يريدون ان يرتفع بأي ثمن ومن الطبيعي ان الناس لا ترتاح للفوضى ولذلك فإن الدولة هي البديل، والجيش هو البديل عن المليشيات ولكن ما هي طبيعة هذه الدولة؟ ان الناس لا تفكر الآن وستفكر بعد سنة او سنتين عندما ينحسر ظل الميليشيات تماماً وتقع الدولة في كل تناقضاتها ومشاكلها وتخلفها وعدوانيتها وهكذا وبالنسبة الى الجيش الذي اذا لم نستطع ان نحوله الى جيش وطني يتحرك في وحدته لكل الوطن فإن من الطبيعي ان يعيش الجيش الغرائزية الطائفية في هذا اللواء وذاك اللواء وهذا الفريق وذاك الفريق الناس تعيش شعور حالة الأسترخاء للسلام ولكن ماذا بعد ذلك؟ هل المسألة تتوقف على طبيعة نتائج المستقبل فيما هي الدولة وفيما هو الجيش ان مسألة الشريط الحدودي والمنطقة الحدودية اتصور انها ستبقى خارج نطاق المسألة اللبنانية وخارج نطاق اتفاق الطائف لأن فصل الأزمة اللبنانية الجنوبية في جانبها الفلسطيني الأسرائيلي عن ازمة الشرق الأوسط ليست كبيرة بل ان بعض الأوضاع قد تجعل ارتباطها بهذه الأزمة اكثر لذلك في غياب اي فرص في فصل ازمة الشرق الأوسط عن ازمة لبنان لا بد ان ننتظر حلاً

كبيراً اذا كانت هنالك فرص مستقبلية .

*** كيف تقيمون الدور السوري في لبنان؟**

من الطبيعي ان للدور السوري ايجابياته الكبيرة التي ابعدت لبنان عن قوة الدور الأسرائيلي بأنه لو لم تكن سوريه في لبنان لكانت اسرائيل من خلال وجود كثير من المفردات اللبنانية الذاتية التي تنفتح على اسرائيل اكثر مما تنفتح على العرب والتي ربما يدفعها تعقيدها من العروبة التي قد تجد ان الأسلام يعيش في داخلها . وقد سمعت قبل عشر سنوات بعض القياديين العسكريين هو اننا لا بد ان ندرس مسألة تحالف الأقليات في الشرق الأوسط ويكفي التحالف اليهودي مع المسيحين ومع بعض الفئات . لذلك فأن الدور السوري كان له الأثر الكبير في ابعاد او في تقليص الدور الأسرائيلي في لبنان ولو في الناحية السياسية والأمنية ولولا ذلك لكان له دور كبير. ومن الطبيعي ان اتفاق الطائف من المسائل التي لولا الدور السوري لما امكن لها أن تأخذ حجمها بهذا المستوى الذي بلغت بقطع النظر عن رأينا بأتفاق الطائف عما إذا كان خيراً أم شراً .

*** الصراع العربي ـ الاسرائيلي الى اين؟ . . .**

لعل المشكلة في العالم العربي ان الانسان المواطن صودر من خلال اجهزة الحكم التي تحكم الناس بطريقة المخابرات ولذلك فأننا نتصور ان هذا الوضع هو الذي سيطر على مجمل الحالة السياسيه العامه بالاضافة الى الضربات المتلاحقة التي اطبقت على هذا الوطن لكنني في الوقت الذي ارى فيه ان النتائج السلبيه فرضت الكثير من حركة

الواقع السياسي في العالم العربي ارى ان مثل هذه النتائج السلبية قد تنفذ الى العمق لتضع ولو في المستقبل ثورة تطيح بكل ما يحاول الوسط السياسي العربي والدولي ان يبنيه في هذه الساحة الملتهبة .

*** إذا كان العرب؛ سياسياً؛ مكرهين على مفاوضات تقود إلى صلح مع إسرائيل فيا ترى هل استنبطوا مفاعيل هذا الصلح من الناحية الفكرية إسلامياً، وعربياً، ومسيحياً، وما هي برأيكم التأثيرات المستقبلية لهكذا صلح؟**

عندما نغوص دارسين عمق الذهنية الإسرائيلية، وتحديداً الذهنية اليهودية من الزاوية الفكرية التي تختزنها ثقافتهم الدينية الموروثة فإننا نلاحظ أنهم يعتبرون أنفسهم «الشعب المميز» المعبر عنه بالصيغة المعروفة شعب الله المختار. . والأدبيات اليهودية تتحدث عن أن اليهودي يسيطر على امتياز الحقيقة وأن الآخرين لا يملكون شيئاً سوى خدمة اليهودية. . والقرآن الكريم ينقل عنهم أنهم يرفعون أية مسؤولية عن أنفسهم حين استيلائهم على أموال الآخرين ممن يدعونهم بـ «الأميين». وهذه النظرة اليهودية للإنسان غير اليهودي تأخذ بعداً استعلائياً، وفوقياً بشكل عنصري وحتى المسيحية عاشت كل تاريخها توجه الاتهامات لليهودية التي تتحمل وزر دم السيد المسيح. وإذا كانت المسيحية الرسمية قد أصدرت براءة لليهود من هذه الجريمة على أساس أن اليهود لا يتحملون مسؤولية ما قام به أجدادهم فإن هذه الخطوة لم تحدث انفتاحاً يهودياً على المسيحية من الناحية الثقافية، وكل ما هنالك أن المسيحية تحتل المواقع المتقدمة على مستوى الواقع الحضاري الحالي في أميركا، وأوروبا الأمر الذي يجعل اليهود بحاجة إلى الاستفادة من المواقع المسيحية لمشاريعهم في

فلسطين، والعالم. واليهـود معنيون برفـع صفة العنصرية عنهـم مع تبرئتهم من دم السيد المسيح، ومـن الطبيعي أنهم يستفيدون من تبرئة الفاتيكان لهم من صلب السيد المسيح.

اليهودية الثقـافية ترفض السيـد المسيح كرسول ربـاني أو من قبل الخالق مع رفض المسيحية كرسالة، وكـدين مع اعتبار كل ذلك شيئاً مزيفاً. هنـا، يمكن الاستنتاج أن العقدة اليهوديـة تجاه المسيحية هي عقدة ثقافية في عمق التفكير اليهودي. والأمـر نفسه يتعلق بالإسلام لأن اليهود لا يـؤمنون بـالإسلام كـرسالـة، ولا يؤمنـون بالنبـيّ محمد (صلعم) كـرسول، ولا يؤمنون بـالقرآن على أنه كتـاب الله ثم إنهم لا يؤمنـون بالإنجيل على أنـه كتاب الله، وقـد عاشوا التعقيـد المتنوع في إرباك الدعوة الإسلامية في المدينة وفي الدخول مع المسلمين في حروب كثيرة. لهذا، العقدة اليهوديـة ضد الإسلام تتصل بـالفكرة، وتتصل بـالتـاريـخ. إن نشـوء إسرائيـل كـدولـة على حسـاب المسلمين، والمسيحيين في فلسطين قـد جعل العقـدة اليهـوديـة ضد الإسـلام، والمسيحية عقدة الحاضر المتصل بالماضي، والمطل على المستقبل.

من الصعب إيجاد حـالة رسالية منسجمة حول كـلام البعض عن التقاء الديـانات الثلاث: اليهودية، المسيحيـة، الإسلام على صعيد واحد من خلال أجواء الصلح التي تنتجها هذه المفاوضات التي يراد لها أن تبلـغ نتائجهـا على أسـاس الغاء العـداوة القـائمة بين اليهـود والمسلمين والمسيحيين في المنطقـة. إننـا نجد أن المسيحيـة والإسـلام يعترفان معاً بالتـوراة، ويعترفان معاً بكل الرموز الـدينية التي سبقت موسـى وإبراهيـم ونوح، ولا يجدان مشكلة بـالاعتراف باليهـودية أو

بالموسوية بالمعنى الفكري أو الديني إلا من خلال بعض التفاصيل التي ترى أن اليهودية انتهت بمجيء السيد المسيح كما أن الإسلام يرى أن اليهودية انتهت بمجيء السيد المسيح على أساس أن خط الرسالات يمر بمراحل تلغي الجديدة منها القديمة أو تحاول أن تكمل. المشكلة ليست عندنا. المشكلة هي في الفهم اليهودي للمسيحية والإسلام مع ما يرافق هذا الفهم من رفض لهما. لذلك لا نعتقد أن قضية الصلح ستزيل الحواجز بين اليهود من جهة، والمسلمين والمسيحيين من ناحية أخرى لأن ذلك متعلق بالشخصية اليهودية لا بالدين اليهودي. إن الشخصية اليهودية لها سمات غير تبشيرية، ومنكفئة على ذاتها حتى أن اليهود لا يؤمنون بمسألة الدعوة، و إدخال الناس في اليهودية. إلى ذلك، إن العقلية العنصرية اليهودية الاستعلائية الفوقية ترى أن مصالحها تتقدم على مصالح الآخرين، وأن عليها أن تعمل في سبيل السيطرة على موارد الآخرين. ولهذا، نرى أن الأمور ستتعقد في حالة السلم أكثر منها في حالة الحرب لأن مخططات، ومشاريع اليهود كثيرة، ومتنوعة وهي موجهة ضد المسيحيين، والمسلمين بدعم من أميركا، والغرب. إنني أتصور أن مسألة المفاوضات ستخلف مشاكل ثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وأمنية ليست في مصلحة المسلمين، والمسيحيين معاً. لقد عاش اليهود مراحل من الضعف لكنهم لم يستسلموا للأمر الواقع، واستطاعوا أن يصلوا إلى مرحلة جعلوا فيها إسرائيل أقوى حقيقة على أنقاض الحقائق التي كانت منوجدة. إن الخطاب السياسي العربي الحالي يتوجه نحو واقعية الأمر المفروض من زاوية الاعتدال، وهؤلاء العرب متطرفون، خياليون، ومثاليون.

إن الخطـورة هـي أن يغير الآخـرون فهمـك لـلأشيـاء، وأن يغير الآخرون طريقـة تكوينك الثقافي، وتكـوينك الذهني، وهـذا أخطر من أن يغيروا الحدود أو يغيروا المواقع.

محتويات الكتاب